الأمويُّون في شعرِ أبي عديٍّ العَبْلِيِّ
دراسةٌ موضُوعيَّةٌ وفنيَّةٌ

دكتور / هشام عبد السَّلام عليّ جاد
مدرس الأدب والنَّقْدِ
بكليَّةِ الدِّراسات الإسلاميَّةِ للبنين بالشَّرقيَّةِ

المقدمة
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للَّهِ على هدايته وتوفيقهِ وتيسيرِه؛فلولا عونُه وكرمُه ما كانتْ هذه الدِّراسةُ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِ الخلقِ وحبيبِ الحقِّ الَّذي أرسله ربُّه على فترةٍ من الرُّسُلِ ؛ ليكونَ للعالمين نذيراً ، وعلى آله وأصحابه الكِرامِ .....

وبعد

جاءَ الإسلامُ الخالدُ بمبادئه وأخلاقه العظيمةِ ، وظلَّ رسولُ اللَّهِ ــ ﷺ ــ في حياته المُبَاركةِ يُرَسِّخُ هذه القِيَمَ في أصحابهِ ، ولّمَّا انتقلَ النَّبيُّ ــ ﷺ ــ إلى جوارِ ربِّه ، أظهرَ الصَّحابَةُ تمسُّكاً بهديهِ في أُمورِ الدِّينِ والدُّنْيَا ، وقد تجلَّى ذلك في اختيارِ من يخلُفُه ، فالرَّسُولُ ــ ﷺ ــ لمْ يُحدِّدْ من يخلُفُه ؛ لأنَّه أرادَ أنْ يتركَ ذلك للصَّحابةِ ، وقد اجتمعَ الصَّحابَةُ في سقيفةِ بني ساعدة ، وبعد مُناقشاتٍ كان الإجماعُ على خلافةِ الصِّدِّيقِ ــ ﷺ ــ ؛ وكان ذلك لفضلهِ الَّذي باتَ معروفاً للجميع ، وهكذا كانَ منصبُ الخلافة للأفضلِ ، وقدْ رأَينَا ذلك في اختيارِ عُمرَ وعُثمانَ وعليٍّ ــ ﷺ ــ ولكنْ عندما يتولَّى الإمامُ عليٌّ ــ كرم اللَّهُ وجهَه ــ الخلافةَ ، يجدُ معارضةً قويَّةً من مُعاويةَ بنِ أبي سُفيانَ ــ ﷺ ــ ؛ فقد طالبَ الإمامَ قبل أنْ يُبَايِعَ أنْ يأْخُذَ بثأْرِ عُثمانَ ، وكانَ هناك رأيٌ آخرُ من الإمام عليٍّ ؛ حرصاً على وحدةِ الدَّولةِ والأُمَّةِ ، لكنْ ما كانَ يخافُ منه الإمامُ عليٌّ قدْ حدثَ ، وكانتْ له مواجهاتٌ مُرَّةٌ معَ من عارضُوا رأيَهُ ، ومع ذلك فقدْ كانَ له النَّصْرُ في موقعةِ " الجملِ " ، وكاد أن ينتصرَ في موقعةِ " صِفِّينٍ " ، وهُنا

تُرفعُ المصاحفُ على أسنَّةِ الرِّماحِ ، ويكونُ التَّحكيمُ الَّذي كانَ طوقَ النَّجاةِ لمعاويةَ ، ويُقتلُ الإمامُ ، و يتنازلُ الحسنُ ، ويتحقَّقُ الحُلمُ التَّاريخيُّ للأُمويين ، ويتغيَّرُ نظامُ الحُكم في الإسلامِ من النِّظامِ الشُّوريّ إلى النِّظام الوراثي ، وكان ذلكَ الانقلاب على المبادئ الإسلامية الرَّاشدة الصَّالحةِ لكُلِّ زمان ومكانٍ معولاً من معاولِ الهدمِ الَّتي عجلتْ بنهاية الأُمويين ، و سُرعانَ ما غربتْ الشَّمسُ الأُمويَّةُ .

وقد كان غُرُوبُ شمسِ هذه الدَّولةِ مُؤلِماً ، لكن كيف كان موقفُ الشُّعراء من هذا الانهيار الأُمويِّ ؟ لقد كان الشُّعراءُ يتنافسُون في تمجيد الأُمويين في حياتهم ؛ للفوزِ بعطائِهم ونَوالِهم ، لكنْ بعد أن ذهبت الدَّولةُ ، اختفتْ الأصوات المادحةُ الطَّامعةُ ، ويظهرُ صوتُ الشَّاعرِ أبي عديٍّ العَبْليِّ ، بل ويرتفعُ وهو يقولُ ويُنشِدُ شعرَهُ الرِّثائيَّ في الأُمويين ، وهُنا نجدُ سُؤالاً يطرَحُ نفسَه : لماذا كانت هذه الدِّراسةُ عن الشَّاعرِ العَبْليِّ؟

أ كانتْ هذه الدِّارسةُ ؛ لأنَّ العَبْليَّ وحده هو الَّذي كان يجهرُ بحُزْنِه على الأُمويين ؟ أم كانتْ لردِّ ما قيلَ عن العَبْليِّ ؟ أمْ كانتْ لأنَّ العبْليَّ كشاعرٍ كبيرٍ مُخَضْرمٍ لم تكُنْ هُناك دراسةٌ جادَّةٌ عنْهُ وعنْ شعرِه ؟ ، وفي الحقيقة يُمكنُ اعتبارُ كُلِّ هذه الأسبابِ دوافعَ ساقتْ إلى هذا البحثِ ، فقد كان العَبْليّ ُ شاعراً كبيراً مُجيداً مُخَضرما من شُعراء الدَّولتين الأُمويَّةِ والعبَّاسيَّةِ ، ولم تشفعْ لهُ هذه المكانةُ لكي يُدرس شِعرُه دراسةً جادةً كغيرِه من الشُّعراءِ ، لا نُنكرُ أنَّه كانت هناك دراسةٌ عن العَبْليِّ ، لكنَّها لم تُضفْ شيئا إليه ، ولم تستطعْ هذه الدِّراسةُ أن تقفَ على تفاصيل حياتِه ولم تَتَمكنْ من بيانِ حقيقةِ العلاقةِ بين

العَبْلِيِّ والأُمويين ، وقد قام بهذه الدِّراسةِ كاتبٌ لبنانيٌّ ، وكُلُّ ما قامَ به في هذه الدِّراسة أنَّه قامَ بجَمْعِ شِعْرِ العَبْلِيِّ ، وقد اعتمد في هذا الجَمْعِ على مصدَرين من مصادرِ الأدبِ ، وهو في هذا الجَمْع لم يكُنْ ممَّنْ يَحْرِصُ على ذكر الرِّواياتِ الواردةِ في شعر العَبْلِيِّ ، كما أنَّه قد حكم على العَبْلِيِّ أحكاماً ليست صحيحةً ، وكُلُّ ما كان يُريدُه من هذه الدِّراسة أن يُثبِتَ هاشميةَ العَبْلِيِّ ، وكان في هذه الأحكام يجري وراءَ أبي الفرجِ الأصفهانيّ فيما قالَه عن شاعرِنا في كتابِه الأغانيّ ، فقدْ ذكرَ الأستاذ مهديّ عبد الحُسين في مجلّةِ الذَّخائر اللبنانيةِ أنَّ العَبْلِيَّ " كانَ علويَّ الهَوى ، وأنَّه لم يرضَ عمَّا كانَ يفعلُه الأُمويُّون من سبِّ عليٍّ بن أبي طالبٍ (١)" ، وما قاله الأستاذ / مهديّ هو نفسُ ما قالهُ أبو الفرج في الأغانيّ ، يقولُ أبو الفرج " كانَ عبدُ اللَّه بنُ عُمرَ ـــ العَبْلِيُّ ـــ في أيَّامِ بني أُميَّةَ يميلُ إلى بني هاشمٍ ، ويذُمُّ بني أُميَّةَ ، ولم يكنْ فيهِمْ إليه صُنْعٌ جميلُ ....(٢)" ، وقدْ ساقَ هذا الكلامَ أيضاً الأستاذ الدكتور / مُصطفي الشَّكعةِ في كتابة "رحلة الشعر " يقولُ " وقريبٌ من سُديفٍ أبو عديٍّ العَبْلِيِّ ، الأميرُ الأُمويُّ ، الَّذي يكرَهُ بني أُميَّةَ ، ويُشَايِعُ بني عليٍّ ، ويُرضِي بني الحسنِ ، ويعملُ واليا لهمْ على جنُوبِ الحجازِ ..(٣)." .

و مع ما قِيْلَ عن هاشميَّةِ الشَّاعرِ العَبْلِيِّ أَمرٌ لا رَيبَ فيه، فقدْ

---

(١) مجلَّةُ الذَّخائرِ اللبنانيَّةِ : " ١٨٦ " .

(٢) الأغاني : " ١١ / ١٩٨ " .

(٣) رحلة الشِّعر : " ٢١ " .

كانَ هاشميَّاً في هواه وقليلٍ من شعرِه ، ولنْ نحكُمَ عليه من خلالِ مواقفَ تاريخيَّةٍ لأحدِ أجدادِه الَّذي كانَ يحاربُ في "الجملِ" مع السيِّدةِ عائشةَ بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ، كان يُحاربُ الإمام عليَّاً ، لنْ نقفَ مع موقفِ جدِّه من الإمامِ عليٍّ (١)، ولكنَّنا سنقفُ في هذا البحثِ وقفةً طويلةً وجادةً مع ما قيلَ عن كُرهِ العَبْلِيِّ لقومه وأهله من الأُمويين .. وسيظهرُ من خلال هذا البحثِ كيف كان حُبُّ الشَّاعرُ العَبْلِيُّ للأُمويين ؟ لقد كان حُبُّه لهم عظيماً ، وكان شعرُه دليلَ ذلك الحُبِّ ، فقدْ كان شعرُه كُلُّه في الأُمويين ، وهذا ما دفعَنا إلى دراسة شعرِ الأُمويين عند الشَّاعرِ أبي عديٍّ العَبْلِيِّ الأُمويِّ ، هذا وقد قمتُ بتقسيمِ هذا البحثِ إلى :

مقدِّمة ــ تحدَّثْتُ فيها عن :

١ ــ النِّظامِ الإسلاميِّ في الحكم .

٢ ــ الخلافةِ الأُمويَّةِ ، وأسباب غروبِ شمسِها .

٣ ــ أسبابِ الحديثِ عن الأُمويين في شعر أبي عديٍّ العَبْلِيِّ

الفصلِ الأوَّلُ ــ العصرُ والشَّاعرُ ، وهو يتكونُ من مبحثين :

الأوَّلُ ــ العصرُ ، وفيه تحدَّثْتُ عن الحياةِ السِّياسيةِ والاجتماعيَّة والأدبيَّة في العصرِ الأمويِّ ؛ لأنَّ هذه الحياةَ انعكستْ بصورةٍ كبيرة على شعرِ العَبْلِيِّ .

الثَّاني ــ الشَّاعرِ ، وقد ذكرتُ في هذا المبحثِ اسمَه ، ونسبَه ، ومذهبَه .

---

(١) كان جدُّه عليُّ بن عديٍّ ممَّنْ يُقاتِلُ مع السيِّدَةِ عائشةَ في يوم الجمل . ينظر : الأغانيّ : لأبي الفرج الأصفهانيّ ، " ط : دار صادر " ، " ١١ / ١٩٨ " .

الفصل الثَّاني ــ الدِّراسةُ الموضوعيَّةُ في شعر الأُمويين عند العَبْلِيِّ ، وقد جاء أيضاً في مبحثين ، وهُما :

الأوَّلُ ــ رثاءُ الأُمويين في شعرِ العّبْلِيِّ .

الثَّاني ــ مدحُ الأمويين في شعرِ العَبْلِيِّ .

الفصلُ الثَّالثُ ــ الدِّراسةُ النَّقديَّةُ في شعرِ الأُمويين عند العَبْلِيِّ ، وقد جاء في خمسةِ مباحثَ ، وهي :

الأوَّل ــ التَّجربةُ الشَّعوريةُ في شعر الأمويين عند العَبْلِيِّ

الثَّاني ــ الوحدةُ الموضوعيةُ والعضوية ُفي شعر الأمويين عند العَبْلِيِّ .

الثَّالث ــ الألفاظُ والمعاني في شعر الأمويين عند العّبْلِيِّ .

الرَّابع ــ الصُّورة الفنيَّة في شعرِ الأُمويين عند العَبْلِيِّ .

الخامس ــ الإيقاعُ في شعر الأُمويين عند العبْلِيِّ .

الخاتمة ـــ وذكرتُ فيها أهمَّ ما توصَّلْتُ إليه من نتائجَ .

هذا وقدْ بذَلْتُ في إعدادِ هذا البحثِ ما استطعتُ ، فإنْ أكُنْ قد هُديتُ إلى قدرٍ من الصَّوابِ ، فهذا من فضلِ اللَّهِ عليَّ وكرمِه ، وإنْ كان هُناك تقصيرٌ ، فمردُّه إلى نفسي ، واللَّه الهادي إلى الصَّواب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تمهيد
بطاقةٌ معرفيَّةٌ عن العَصْرِ

أولا ـ الحياة السياسية في العصر الأموي :

كان استشهاد عُثمان بن عفَّان ـ ﷺ ـ ﴿ت : ٣٥ هـ﴾ [٥] حدثا جللاً في تاريخ الخلافة الإسلامية ، فقد انقسمت الدولةُ ، وتفرَّقتْ الأمَّةُ ، وأصبحتْ شيعاً وأهواءً ، وظهرتْ جماعاتٌ وأحزابٌ ، لم تكنْ هذه التكوِّيناتُ الجديدة في صالحِ الإسلامِ ؛ لأنها عندما ولدتْ كان ذلك لتحقيقِ مصالحِ شخصية وفرديةِ انتهتْ بانتهاءِ عصرِها .

كان لابد للمسلمين من إمامٍ ، وقد اتفقت كلمتُهم على الإمام عليّ بن أبي طالب «ت : ٤٠ هـ» [٦]، وكان الإمامُ في

---

(٥) عثمانُ بنُ عفَّانَ بنِ أميةَ بن عبدِ شمسٍ ، كان من السابقين إلى الإسلامِ ، وكان من الذين أحبّوا هذا الدِّينَ حبًّا ملك قلوبَهم وعقولَهم وأبدانَهم ، ،ولقد كان عثمانُ كذلك ، ضحَّى في سبيل ربِّه ودينه بنفسه ، وماله ، ومناقبُه في كتب التَّاريخِ والسِّيرةِ كثيرةٌ وجليلةٌ بجلالِ عثمانَ ، و قد تولَّى الخلافةَ بعد اختيارِ أصحابِ الشُّورى له ،ولم يكن عثمانُ ممَّن يفكِّرُ في الخلافة.

ينظر : كتابُ نسبِ قريشٍ لأبي عبد اله الزبيريّ ، عنى بشره : ليفي بروفنسال ، «ط ـ ٣» ، «ط :دار المعارف » ، «١٠٤» ، وكتابُ تاريخِ الخلفاء للسيوطيّ :«١٢٠ » ، والدولةُ الأمويَّةِ بين عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار : د / علي محمد الصَّلابيّ ،«ط : الثانية » ، دار المعرفة ،«١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م » ، «٧١ » .

(٦) نسبُ الإمامِ معروفٌ ، فهو سيّدُ الهاشميين في عصره ،وكان يريدُ الخلافةَ بعد وفاة الرَّسولِ= =﴿ﷺ﴾ ؛لأنَّه ابنُ عمِّ الرَّسولِ ﴿ﷺ﴾ ، وصهرُه على فاطمةَ سيِّدَةِ نسَاءِ العالمين ، وأيضا لمواقفه الكثيرةِ والعظيمةِ في تاريخِ الإسلامِ منذُ أسلمَ إلى وفاتِه .

ينظر : تاريخُ الخلفاءِ للسيوطيّ :«١٣٤» .

البِّدايةِ رافضاً وبشدّةٍ ، ولكنْ مع الإصرارِ من جانبِ الصَّحابةِ قَبلَ هذهِ الإمامةَ ؛ وكان ذلك خوفاً ، بل وحرصاً على وحدةِ الأُمَّةِ ، وكذلك احتراماً وتقديراً لهؤلاء الرجالِ المُخلصينَ الَّذِينَ آثروه على أَنفُسِهم ..

وكان ينبغي على معاويةَ بنِ أبي سفيانَ " ت : ٦٠ هـ "[٧] في هذه اللَّحظاتِ الحرجةِ أنْ يدخُلَ فيما دخل فيه المسلمون من الألفةِ والوحدةِ ؛ حتَّى تسيرَ الأمَّةُ الخالدةُ في الطَّرِيقِ الَّذِي وضّحَ رسولُ اللَّه ﷺ معالمَه مستضيئاً بهدي الإسلام ونورِ الإيمانِ ؛ وحتّى لا تدخلَ الأُمَّةُ في متاهاتٍ وطرقٍ ملتويةٍ تُعيقُ نهضتَها وتقفُ في سبيلِ تحقيقِ غايتِها المَنْشودةِ .

لكنَّ مُعاوية ومن معه اتَّخذُوا طَريقاً مخالفاً ومُغايراً للطَّرِيق الَّذِي سَارَت ْفيه الأمَّة ، وكان الإمامُ حريصاً على ألا تُراقَ الدِّماءَ ، ومن أجلِ ذلك بعثَ إلى معاويةَ رسلاً ؛ لكي يبايعَه بالخلافة ، لكنَّه كان يَرى أنْ يأخذَ عليٌّ أولاً بثأرِ عُثمانَ من قتلتِه ، ثُمَّ تكونُ البَّيعةُ له ،وكانَ مما قالَه في رسالةٍ للإمامِ عليٍّ : "لن أبايعَ منْ يَأوِي القَتَلةَ ..." [٨]

والآن أصبحتْ الكلمةُ للسَّيفِ ، وكانتْ المُواجهةُ المُرَّةُ والفَرِيدةُ في تاريخِ الإسلامِ ، أن يُرفعَ سيفٌ مسلمٌ في وجهِ سيفٍ، كنَّا نتمنَّى أن يكون ذلك في وجهِ عدوٍ أو في قلبِ حاقدٍ

---

(٧) مؤسِّسُ الدَّولةَ الأُمَوِيَّةَ . ينظرُ : تاريخُ الخلفاءِ: «١٥٥».

(٨) الدَّولةُ الأموية بُينَ عواملِ الازدهارِ وتداعياتِ الانهيارِ :«١٠٤» .

يكيدُ للإسلام وأهلِه ، والسَّيفانِ عَزيزانِ والأمانيُّ غاليةٌ وعزيزةٌ . ويلتقي معاويةُ وعلي في صِفّينِ «ت :٣٧هـ» [٩] ، وكادَ النَّصرُ أن يقتربَ من عليٍّ ،لكنَّ معاويةَ بدهائه وذكائه يَفطِنُ لذلك ، فيرفعُ المصاحفَ على أسنَّة الرِّماحِ ، وكانَ عليٌّ يضعُ دماءَ الأمَّةِ نُصبَ عينيه ،فلم يَكُنْ ينظرُ إلى فوزٍ أو إلى هزيمةٍ بقدرِ ما كان ينظرُ إلى خيرِ الأمَّةِ وصالحِها ؛ ولذلك قَبِلَ التَّحكيمَ ، وكانتْ هناك معارضةٌ قويَّةٌ في صفوفه بسببِ هذا الأمرِ.

اجتمعَ الحكمانِ ، وتأْتي نَتيجةُ التَّحكيمِ ، وكان الحُكمُ صادماً للإمامِ عليٍّ ، وفي نفسِ الوقتِ كانَ طوقَ نجاةٍ لمُعاويةَ ، لكنَّ الأيديَ الخفيةَ الآثمةَ كانت هناكَ تدبِّرُ بليلٍ ، قامتْ هذه الأيدي العَابِثةُ والبَاطِشةُ بقتلِ الإمامِ عليٍّ ، وخوفاً منَ البَقاءِ في هذا الاضطراب يُبايَعُ الحسنُ بنُ عليٍّ « ت : ٥٠هـ» [١٠] بالخلافةِ ، ولكنَّه لم يهنأْ بها طويلاً ، فقدْ سارَ إليه معاويةُ بجيشٍ ، ويُدركُ الحسنُ أنَّ نَهرَ الدِّماءِ سيجري منْ جديدٍ ، ولذلك فقدْ أَقدمَ عَلَي رأيٍ حكيمٍ سجَّلُه له التَّاريخُ ، فقد تنازلَ عن الخلافةِ لمعاويةَ ليبدأَ عصرٌ جديدٌ .

---

(٩) ينظرُ في صِفِّينٍ : مجموعُ أيَّامِ العربِ في الجاهليَّةِ والإسْلامِ ، إبراهيمَ شمسِ الدِّينِ ،«ط : الأولى » ، دارِ الكتبِ العلميةِ ،«١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م » ، «٣٦٢» .

٣﴾ *الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أبي طالب ، قدَّمَ نَموذجاً فَريداً في الإيثارِ ، فقد آثرَ الحسنُ المصلحةَ العامةَ على المصلحةِ الشَّخصيةِ أو الحزبيةِ . ينظرُ : تاريخُ الخلفاء للسيوطيِّ:" ١٥٠."*

قامتْ الدَّولةُ الأمويَّةُ لتحققَ حُلماً للأمويين انتظرُوه طويلاً ، ولكنْ ما زالتْ هناك أحلامٌ أُخرَى ، وقد بدأَ حُلمٌ من هذهِ الأحلامِ يُراودُ مُعاويةَ مرَّةً أُخرَى ، لقدْ أرادَ أنْ يجعلَ الخلافةَ في أسرته وبخاصة في بيتِه السُّفيانيِّ ، وبدأ بأهل الشَّامِ فبايعُوا ، ثُمَّ بعثَ إلى مروانَ بنِ الحكمِ " .٦٥هـ» [١١]والي المدينةِ مدينةِ رسول اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ لكي يأخذِ البَّيعةَ من أهلِها ، فخطبَ مروانُ في أهل المدينةِ فقالَ: « إنَّ أميرَ المُؤمنينَ رأى أنْ يستخلفَ عليكُم ولدَه يَزيدَ سُنَّةَ أبي بكرٍ وعُمرَ ، فقام عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي بكرٍ الصِّديقِ «٥٣هـ» [١٢]، فقالَ : بل سّنَّة كسرى وقيصرٍ، إنَّ أبا بكرٍ وعمرَ لم يجعلاها في أولادهما ، ولا في أحدٍ من أهلِ بيتهما ...» [١٣].

ويأتي معاويةُ إلى المدينةِ ، ويدعو النَّاسَ إلى البيعةِ ليزيدَ ، ويبايعُ أهل المدينةِ، ولكنَّه يجدُ معارضةً من عبد اللَّهِ بنِ عمرَ « ت : ٧٣ هـ » [١٤]، وعبدِ الرَّحمن بن أبي بكر ، وعبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١١) مروانُ بنُ الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ،كان مقربا من عثمان ، وعمل كاتبا له ، ولما قتل عثمان كان ممن خرج مطالبا بثأره .. ينظر : الأعلام لخير الدين الزر كلي ،«ط : ١٥ » ، دار العلم للملايين ،«٢٠٠٢م » ، «٧ /٢٠٧ » .

(١٢) ابنُ الصِّديقِ ، كان ممَّنْ عارضَ البيعةَ ليزيدَ . ينظرُ = الاستيعابُ في معرفة الأصحاب ، لأبي عمرَ يوسف بن عبد البَّرِ ، تحقيقُ : عليّ محمَّد البِّجاوي ، «٢/ ٨٢٥ » .

(١٣) يُنظَرُ : تاريخُ الخلفاءِ للسُّيُوطِي : «١٥٦ ».

(١٤) عبد اللَّهُ بنُ عمَر بنِ الخطَّابِ ، من فضلاءِ الصَّحابةِ ، لم يكن يوماً

الزُّبَيرِ « ت : ٧٣ هـ » [١٥]، وعندما يجدُ ابنُ عمرَ أنَّ النَّاسَ قدْ بايعُوا يزيدَ ، يبايعُ معهم ، ويقولُ«إنْ كانَ خيراً رضِينا ، وإنْ كانَ شراً صبرْنا » [١٦].

ويخلُفُ معاويةُ ابنَه يزيدَ «ت : ٦٤ هـ » [١٧] ، ولم يكُنْ في الدَّهاءِ السِّياسي كأبيهِ ، كما أنَّهُ لم يكُنْ محمُودَ السِّيرةِ ؛ ولذلك كَثُرَ السَّاخِطُون عليه والكارهُون لحكمِه ، فالحُسَينُ " ت : ٦١هـ »[١٨] يخرجُ عليه ويذهبُ إلى الكُوفةِ ، وأهلُ المدينةِ

راغباً في دنيا أو طامعاً في مُلك ، ذهب النَّاسُ إليه بعد مقتَلِ عثمانَ ، وعرضُوا عليه الخلافةَ لكنَّه رفضَها ، وكيف لا يكونُ كذلك وقد قالَ عنه النبيُّ ﴿ﷺ﴾ إن عبدّ اللَّه رجلٌ صالحٌ .. ينظرُ : الاستيعابُ في معرفةِ الأصحابِ : «٣ / ٩٥٠ » .

(١٥) أوَّلُ مولودٍ للمُسلمين بعدَ الهجرةِ ، سمَّاهُ النَّبيُّ ﴿ﷺ﴾ باسمِ جدِّه أبي بكرٍ، وكنَّاهُ بكُنيتِه ،بُويعَ له بالخلافةِ في الحجازِ والعراقِ وخراسانَ واليمنِ ،وقد قتلَه الحجَّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقفيِّ ، ولما قتلَه صلبَه في مكَّة. ينظرُ : الاستيعابُ في معرفةِ الأصحابِ :«٣ / ٩٠٢ » .

(١٦) يُنظرُ : تاريخُ الخلفاءِ للسُّيوطي :«١٥٧ » .

(١٧) وكان المغيرةُ بنُ شُعبةَ هُو الَّذي أشَارَ على معاويةَ بجعلِ يزيدَ ولياً لعهده . ينظرُ : كتابُ تاريخِ الخلفاء للسيوطيِّ : «١٦٤».

(١٨) السِّبطُ ، ابنُ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، سيِّدُ شبابِ الجنَّةِ ، وللحُسينِ منَ المناقبِ ما تعجزُ عن وصفِه الأقلامُ ، ولمَّا بايعَ معاويةُ ابنَه بالخلافةِ ، كانَ الحسينُ من الرَّافضين لهذا الأمرِ ؛ ولذلك عندما دعاه أهلُ العراقِ للقُدُومِ عليهم ؛ لمبايعتِه بالخلافةِ والوقوفِ معه في وجهِ الأُمويين ، ذهبَ إليهم . ينظرُ : أُسْدُ الغابةِ في

يخلعُونَه ؛ فقدْ كانَ ممن يُجاهِرُ بالمعاصي ، ولكنَّ يزيدَ «ت :٦٤ هـ»لم يقفْ أمامَ هذهِ الأحداثِ صامتاً أو متفرِّجاً ، بل إنَّهُ أَبْدَى نواجَذَه . فقدْ كاتبَ واليهِ على العِراقِ عُبَيدَ اللَّه بنَ زيادٍ «ت :٦٧ هـ » [١٩] ، وأَمرَهَ في كِتابِه أنْ يُوجِّهَ جيوشَه لقتالِ الحُسينِ « ت : ٦١ هـ » ، وخرجَ جيشٌ بقيادةِ عمرَ بنِ سعدِ بن أبي وقاصٍ « ت : ٦٦هـ » [٢٠] للقاءِ الحُسَينِ «ت : ٦١ هـ»ومن معَه من أهلِه ، ولم يكُن مع الحُسَين «ت : ٦١ هـ »سوى هؤلاءِ ، أمَّا أهلُ الكُوفةِ فقدْ خذلُوه كما خذلُوا أباه من قبلُ ، ومع هذه القلَّةِ والقُوَّةِ غيرِ المُتكافئةِ ـ كان هناك إيمانٌ بقضيَّةٍ عادلةٍ ، قضيَّةِ الخلافةِ الَّتي أصبحتْ وراثيةً ـ يلتقي الجيشانِ في كربلاءَ « ت : ٦١ هـ » الَّتي كانتْ بلاءً شديداً على الحُسينِ «ت : ٦١ هـ » وآلِ بيتِه ، و كانتْ النِّهايةُ المُؤلِمةُ للحُسينِ الَّتي حُذِّرَ منها ، يُقتَلُ الحُسينُ «ت : ٦١ هـ»

معرفةِ الصَّحابةِ :لابنِ الأثيرِ ، تحقيقُ : محمَّدِ علِّي مُعوَّض ، وآخرون ، «ط : دار الكتب العلمية » ، «٢ / ٢٤ » .

(١٩) ابنُ زيادٍ بن أبيهِ ، ولَّاه عمُّه معاويةُ العراقَ ، ولمَّا تولَّى يزيدُ الخلافةَ أقرَّه عليها ، ولمَّا خرجَ الحُسَين أمرَه بقتالِه ، فأرسلَ جيشاً بقيادةِ عمَرَ بنِ سعد ، وقدْ قُتِلَ عبيد الله على يدِ إبراهيمَ بنِ الأشَتْرِ انتقاماً منه لقتلِ الحُسينِ . ينظرُ : الأعلامُ «٤ / ١٩٢ » .

(٢٠) أمرَه عبيدُ اللَّهِ بنِ زيادٍ بقتلِ الحسين ، فتردَّدَ أولاً ، فوعدَه عبيدُ اللَّهِ بإمارةِ الرَّيِ ، فأطاعَ ، وخرج، وقتلَ الحُسينَ ، وكانتْ نهايتُه على يدِ المُختارِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ الثَّقَفيِّ الَّذي أرسلَ إليه من يقتُلُه . ينظرُ : الأعلامُ : «٥ / ٤٧ » .

وتُحزُّ رأسُه ويُذهّب بُها في طَسْتٍ وتُوضعُ بينَ يَدَي زِيادٍ « ت : ٦٧ هـ».

وكما أرسلَ يزيدُ جيوشَ العراقِ للقضاءِ على الحُسينِ «هـ » ومنْ كانَ معَه ، أرسلَ كذلك جُيُوشَه إلى المدينةِ المُنوَّرةِ، وفي المدينةِ " كانتْ وقعةُ الحرَّة «ت : ٦٣ هـ»، وما أدراكَ ما وقعةُ الحرَّةِ ؟ يقولُ منْ رآها : واللَّه ما كادَ ينجُو منْهَا أحدٌ ، قُتِلَ فيها خلقٌ كثيرٌ من الصَّحابةِ ، وليتَ الأمرَ وقفَ عندَ هذا الحدِّ ، فقدْ نُهِبَتْ المدينةُ واغتُصِبتْ النِّساءُ ..." ، لماذا كُلُّ ذلك ؟ لأنَّ المدينةَ خلعتْ يزيدَ «ت : ٦٤ هـ » [٢١].

وكانت الجيوشُ الأمويَّةُ قدْ عزَمَتْ على التَّوجُّهِ من المدينةِ إلى مكَّةَ للقضاءِ على ثورةِ ابنِ الزُّبَيرِ «ت : ٧٣ هـ » ، لكنَّ القدرَ لم يُمْهِلْ يزيدَ «ت : ٦٤ هـ »حتَّى يرَى ذلك ، فقدْ وافتْهُ المنيَّةَ أثناءِ قتالِ الجيوشِ الأمويَّةِ في مكَّةَ ، وعندما جاءَ الخبرُ بذلك ، ضعُفَتْ همَّةُ الجيوشِ الأمويَّةِ ، واشتعلتْ جيوشُ ابنِ الزُّبَيرِ «ت : ٧٣ هـ » حماسةً ، وعادتْ جيوشُ بني أميّةَ إلى الشَّامِ ولم تُحقِّقْ مُنَاها .

ويَجلسُ معاويةُ بنُ يزيدَ «ت : ٦٤ هـ »[٢٢] على كُرسيِّ الخلافةِ ، ولكنَّه لم يهنأْ بها كثيراً ، وسُرعانَ ما عادَ الصِّراعُ

---

٤) ينظرُ : تاريخُ الخلفاءِ : «١٦٦ » .

(٢٢) مكثَ في الخلافةِ أربعين يوماً ، وقِيلَ شهرين ، ورفضَ أنْ يُولِّي بعد ه أحداً . ينظرُ : تاريخُ الخلفاءِ للسُّيوطي : «١٦٨ »

بين المتنافسين والطَّامعين والطَّامحين في الخلافةِ ، ورأينا من ينفردُ بحكم الشَّامِ كمروانَ بنِ الحكمِ «ت : ٦٥ هـ » ، ورأينا منْ يحكمُ الحجازَ والعراقَ واليمنَ وخُراسانَ كعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ «ت : ٧٣ هـ ». ويأتي عبدُ الملكِ بن مروانَ « ت : ٨٦ هـ » [٢٣] ، ويجدُ الخلافةَ مقسَّمةً ، فيعملُ بكلِ جِدٍّ على توحيدِ الخلافةِ وجمعِ شملِها مرَّةً أُخرَى ، وقدْ نجحَ في تحقيقِ ذلك ، فيقضِي على ابنِ الزُّبيرِ «ت : ٧٣ هـ » في الحِجازِ ، ولم يقفْ عند ذلك ، بلْ أرسلَ جيوشَه في كلِّ مكانٍ ، فتصلُ حدودُ الدَّولةُ الإسلاميةُ إلى بلادِ التُّركِ ، وبلاد السِّندِ ، وبلادِ المغربِ ، وتُصبحُ الخلافةُ عظيمةً ومُهابةً .

ويمضِي عبدُ الملك بنِ مروانَ «ت : ٨٦ هـ » ولكنَّه يظلَّ في ذاكرةِ التَّاريخِ ، ويأتي بعده خلفاءُ أقوياءُ همْ أبناؤُه ، استطاعوا أن يُحقِّقُوا نهضةً واستقراراً ، وجدْنا ذلك في عهدِ الوليدِ بنِ عبد الملكِ « ت : ٩٦ هـ» [٢٤]وفي عهده فُتحَتْ الأندلسُ ، وسليمانَ بنِ عبدِ الملكِ «ت : ٩٩ هـ » [٢٥]. وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ« ت : ١٠١هـ » [٢٦] وفي عهدِه فاضَ المالُ، وقد قِيلَ «إنَّ الرَّجُلَ كان يَحملُ زكاتَه على يدِه ، ويطوفُ بها في

---

(٢٣) بُويعَ بالخلافةِ في عهدِ أبيهِ ، وفي بدايةِ حُكمِه كان متغلِّباً على الشَّام ، وعندما هُزِمَ ابنُ الزُّبيرِ ، دخلَتْ الخلافةُ في طاعتِهِ . ينظر : السابق :«١٧١ » .

(٢٤) يُنظرُ : تاريخُ الخلفاءِ : «ـ١٧٧» .

(٢٥) يُنظرُ : السابقُ «١٧٩ » .

(٢٦) يُنظرُ : السابق «١٨٢ » .

أرجاءِ الإمبراطُوريةِ فلا يجدُ مُسْتَحِقٌ يدفعُها إليه . »[٢٧] .

ويزيدَ بنِ عبدِ الملكِ «ت : ١٠٥ هـ » [٢٨]، وهشامِ بنِ عبدِ الملكِ «ت : ١٢٥ هـ » [٢٩]وكانتْ في عهدِه فتوحاتٌ كثيرةٌ . وإذا كانتْ الخلافةُ الأمويَّة ُ قويَّةً في عهدِ من سبقَ من الخلفاءِ ، فإنَّها من الآن ستبدأُ في الضَّعفِ الَّذي كانَ بلا شكٍ مُؤذناً بالانهيارِ ، فقد تولَّى الخلافةَ الوليدُ بنُ يزيدّ بنِ عبدِ الملكِ «ت : ١٢٦ هـ » [٣٠]، وما أدراكَ من هو الوليدُ ؟ لقد ْ كانَ الوليدُ كما جاءَ في كتابِ تاريخِ الخلفاءِ : " فاسقاً ، شَرِّيباً للخمرِ ، مُنْتهكاً لحرماتِ اللَّهِ ، أرادَ الحجَّ ليشربَ فوقَ ظَهْرِ الكعبةِ ؛ فمقتَه النَّاسُ لفسقِه ، وخرجوا عليه ، وقتَلوه ..." [٣١].

وكان من الطبيعيِّ أن يجلسَ مكانَه يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ «ت : ١٢٦ هـ » [٣٢]الذي كان محرِّضاً على قتْلِه ، ولكنَّه لم يمكُث ْفي الخلافةِ كثيراً ، وعندما شعَر بدُنوِّ أجلِه عهِد بالأمرِ من بعدِه لأخيهِ إبراهيمَ بنِ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ «ت : ١٣٢

---

(٢٧) يُنظرُ : النوازلُ الكُبرَى في التَّاريخِ الإسلاميِّ : د / فتحي زعرور ، «ط : الأولى » ،«١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٩ م » ، « ٣٥٣» .

(٢٨) يُنظرُ : تاريخُ الخلفاءِ : «١٩٦ » .

(٢٩) ينظرُ : السابقُ :«١٩٧ » .

(٣٠) يُنظرُ : السابق «٢٠٠» .

(٣١)يُنظرُ السابقُ «٢٠٠» .

(٣٢) يُنظرُ : السابقُ «٢٠٢» .

هـ» [٣٣] مع أنَّه لم يكن الأحقَّ بها ، ولذلك خلعَه مروانُ بنُ محمَّدِ بن مروانَ بنِ الحكمِ «ت : ١٣٢ هـ» [٣٤].وفي عهدِه كثُر الخارجون عليه ، حتَّى تمكَّنَ بنو العبَّاسِ من هزيمتِه ،وإنهاءِ الحكمِ الأمويِّ ، وكان ذلك في سنةِ "ت : ١٣٢ هـ " .

ثانيا . الحياة الاجتماعيةِ في العصرِ الأمويِّ :

إذا كان المؤثرُ السِّياسيِّ مهماً جدّاً في دراسةِ الأدبِ ، فإنَّ دراسةَ الحياةِ الاجتماعيةِ لا تَقِلُّ أهميةً في هذه الدِّراسةِ ؛ فالأدبُ وبخاصةٍ الشِّعرُ ما هو إلا ظلٌّ تظهرُ على صفحتهِ الحياةُ بشتَّى ألوانِها وتموّجاتِها . والحديثُ عن هذه الحياةِ سينطلقُ من خلالِ ظاهرتين :

١ ــ الترفُ والنعيمُ :

هناك من عاشَ في هذا العصرِ حياةً مترفةً ، وقد ظهرَ هذا التَّرفُ في المأكل والمشربِ والملبسِ والمسكنِ ، كما كان لهذا التَّرفِ أثرٌ كبيرٌ في توجُّه النَّاسِ إلى الفكرِ والعلمِ ، وقد ساعدَ ذلك على قيامِ حضارةٍ زاهرةٍ مشرقةٍ مازلنا نفتخرُ بها . لكنَّ هذا لا يعني أن الجميعَ في هذا العصرِ كانُوا يعيشون في ترفٍ ونعيمٍ ورخاءٍ ، بل كان هناك محرومون يُعانُون من الفقرِ والبؤسِ . كما لا يعني هذا الثَّراءُ الواسعُ أن المجتمعَ الإسلاميَّ

---

(٣٣) يُنظرُ : السابقُ «٢٠٣» .

(٣٤) يُنظرُ : السابقُ «٢٠٤» .

أصبحَ مجتمعاً متحلِّلاً من القيمِ والأخلاقِ كما صوَّرَتْ بعضُ كتبِ الأدبِ التي وصفتْ الحياةَ في هذا العصرِ بما لا يُقبَلُ ولا يُصدَّقُ [٣٥] . ما أودُّ أنْ أُشيرَ إليهِ أنَّ التَّرفَ الَّذي عاشَ فيه الخلفاء الأمويون في آخرِ هذا العصرِ كانَ من أهمِّ أسبابِ تصدُّعِ أركانِ هذه الدَّولةِ ، فقدْ كانَ من الخلفاءِ من ينتهكُ حُرماتِ اللَّهِ ، وقد كانَ التَّعدِّي على الحدودِ سبباً في مقتلِه [٣٦]، ومنهم من كان يبالغُ في زينتِه وزينةِ مَنْ حولَه [٣٧]، ومنهم مَنْ كانَ يريدُ الخلافةَ [٣٨]؛ ليأخذَ نصيبَه منها وليتمتعَ بزَهرَتِها كما تمتَّعَ غيرُه ، ولا شكَ أنَّ هذا التَّرفَ والنَّعيمَ الَّذي غَرِقَ فيهِ البَّعْضُ وتمنَّاهُ الكثيرون كان سبباً في غيابِ شمسِ هذه الدَّولةِ .

٣ـ العَصَبيَّةُ :

جاء الإسلامُ برحمتِه وعدلِه ؛ ليُعلِنَ للنَّاسِ أنَّه دينٌ لا يعترفُ بالعصبيةِ ، ولا يُؤمِنُ بالفَوارقِ الاجتماعيةِ ، وآياتُ القُرآنِ الكريمِ تدعُو إلى العدلِ والمساواةِ ، فلا فضلَ لعربيٍّ على

---

(٣٥) ويظهرُ ذلك في كتاباتِ : الدكتور طه حسين ، و شوقي ضيف ، ونجيب البهبيتي .

(٣٦) وهذا قد حدث مع الوليد بن يزيدَ بن عبدِ الملكِ . ينظرُ : تاريخُ الخلفاءِ : «٢٠٠» .

(٣٧) وقد كان يفعلُ ذلك يزيدُ بنُ عبد الملكِ . ينظرُ : تاريخُ الخلفاءِ : «٢٠٢ » .

(٣٨) وهو مروانُ بنُ محمَّدِ بنِ مروانَ ، الَّذي حاربَ إبراهيمَ بنَ الوليدِ بنِ عبد الملكِ ، فهزمَه ، وتولَّى بعده الخلافةَ ، لكنَّهُ لم يَبْقَ فيها كثيراً . ينظرُ : تاريخُ الخلفاءِ : «٢٠٤» .

عجميٍّ إلا بالتَّقوَى . ولكنْ عندما قامتْ دولةُ بني أميَّةَ تعصَّبُوا للعربِ وللعُروبةِ ، « فأساءَ ذلك إلى الموالي وهُم المسلمون مِن غير العربِ من الفُرسِ والتُّركِ الَّذين كانوا كثرةَ السُّكَّانِ في الإمبراطورية الأمويَّةِ ، وهذا ما جعل هؤلاء الموالي يقفون مع الدَّعوةِ السِّريةِ الَّتي كانتْ تُنَادِي بالخلافةِ لآلِ البيتِ ... » [٣٩] .

وقد تمكَّنَتْ هذه الدَّعوةُ من إسقاط الخلافةُ الأمويَّةِ . لكنْ حدثَ بعد انقسامٌ رهيب في البيتِ الهاشميِّ .

ثالثا ــ الحياة الأدبية في العصر الأموي :

كانت الحياةُ الأدبيةُ في هذا العصر مُزدهرةً ؛ « لأن ملوك بَني أميَّة كانُوا عرباً يُحبُّون الشِّعرَ ويتذوقُونَه ، ويَطْرَبُون للمُوسيقَى ، ويقْتَنِي بعضُهم الجواريَ والمغنياتِ ، فقرَّبُوا الشُّعراءَ إليهم واستمدَحُوهم وأجزلُوا لهم العطاءَ وفيراً ، فكَثُر عددُ الشُّعراءِ المُجيدينَ ، وعادتْ لهم مكانَتُهم ..[٤٠] » .

ولم تكنْ عِنَايَةُ بني أُميَّةَ وحدها هي الَّتي أَخَذَتْ بيدِ الأدب والشِّعرِ إلى طريقِ التَّطوُّرِ والرُّقِيِّ ، ولكنْ كانتْ هُناكَ عواملُ أُخرى ساعدتْ أيضاً على نَهضَةِ الشِّعرِ ، ومنها : انصرافُ المُسلمينَ إلى قتالِ أَنفسِهِمْ عن جِهادِ العدُوِ ، " فقد تفرَّقَ المسلمون أحزاباً وشِيعاً بعضُها للدِّينِ وبعضُها للدُّنيا ، ففي

---

(٣٩) ينظرُ : كتابُ النَّوازلِ الكُبرَى في التَّاريخِ الإسلاميِّ :«٣٥٢ » .

(٤٠) كتاب رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية : د / مصطفى الشكعة ، طبع الدار المصرية اللبنانية ، «٢٢ » .

الحجازِ حزبٌ يُناصِرُ ابنَ الزُّبيرِ ، وفي الشَّام حزبٌ يُشايعُ بني أُميَّةَ ، وفي العراقِ حزبٌ يُشايعُ أَهلَ البيتِ ، وهُناك حزبٌ ديمُقراطيٌّ يُنكرُ الأَحزابَ ويُكفِّرُ الزُّعماء ويقولُ بالشُّورى في الخلافةِ . وقد كانَ الشِّعرُ حاضراً في هذه الأَحداثِ ، فليس من المعقُولِ ولا المقبُولِ أَنْ يكونَ الشِّعرُ بنَجْوةٍ عن هذه الحياةِ الصَّاخبةِ والعصبيَّةِ الغالبةِ والأَحزابِ المُتَحاربةِ والأَهواءِ المُتضاربةِ ، ومن المعرُوفِ أَنَّ الشِّعرَ تبعثُه الحزبيةُ .."[٤١] .

ولكنْ إذا كانَ الأدبُ والشِّعرُ في هذا العصرِ قد ازدهرَ وتطوَّرَ ، فهل هذا يعني أنَّ الأدبَ وبخاصةٍ الشِّعرُ قد اختلفَ في مظهرِهِ وجوهَرِهِ عن حالهِ في الجاهليَّةِ والإسلامِ ؟ والَّذي لا شكَّ فيه أَنَّ الأدبَ في العصرِ الأُمويِّ قد تأَثَّرَ بصورةٍ كبيرةٍ في مظهرِه وجوهرِه برُوحِ العصرِ الجديدةِ ، والَّتي ظهرَ التَّحضُّرُ في كُلِّ مناحِيها ، ومع ظُهورِ هذا التَّأَثُّرِ في الأَدبِ الأُمويِّ ، إِلَّا أَنَّهُ ظلَّ محدوداً ، فقد وجدنا الأدبَ الأُمويَّ وبخاصةٍ الشِّعرُ يحرِصُ على كثيرٍ من التَّقَاليدِ المورُوثةِ والَّتي تتمثَّلُ في الألفاظِ والصُّورِ والمُوسيقى وبناء القصيدةِ ، ومع ذلك فقد جدَّدَ الأدبُ الأُمويُّ في المعاني والأغراضِ ، ولقد كانَ لهذه المُحافظةِ أسبابُها ، " فقدْ كانَ العربُ بطبيعَتِهم يميلُون إلى التَّقليدِ والقديمِ "[٤٢] .

---

(٤١) تاريخ الأدب العربيّ : أحمد حسن الزَّيات ، دار نهضة مصر ، "١٠٦ " .

(٤٢) السابق : " ١٠٤ " .

الفصل الأوّل
الشاعر﴿ ت : ١٤٥ هـ﴾

أولا ـ اسمه ونسبه :

جاءَ في كتاب نسب قريش أنَّه : « عبدُ اللّه بن عمر بن عبد الله بن عليّ بن عديّ بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس بن عبد مناف »(٤٣) ، وكان هذا الشَّاعرُ يُكْنَى بأبي عبد الله ، كما أنَّه قد لقِّب بالعبْليِّ ؛ وإنَّما لُقِّب الشَّاعرُ بهذا اللَّقَبِ ــ وكذلك سائرُ بني عبد العُزَّى ــ مع أنهم ليسوا من العَبَلاتِ ، لأن النَّاس عندما «صار الأمرُ لبني أُمَيَّةَ الأكبرِ بن عبد شمس وسادُوا وعظُمَ شأنُهُمْ في الجاهليَّةِ والإسلامِ و كثُرَ أشرافُهُمْ ، أدخَلُوا فيهم بني أُمَيَّةَ الأَصْغَرِ بن عبد شمس » (٤٤)، وهؤلاءِ هم الَّذين يُقَالُ لهم العَبَلاتُ ، «لأنَّ أُمَّهُمْ عَبْلَةَ بنتِ عُبَيدِ بن جاذِلٍ » (٤٥)، وكذلك أدخلَ النَّاسُ في بني أُمَيَّة الأصغرِ بني عبد العُزَّى ، ومن هنا أُطْلِقَ اللَّقَبُ على بني عبدِ العُزَّى ومنهم الشَّاعِرُ العَبْلِيُّ .

ثانيا ـ حياته :

عاش الشَّاعِرُ في عصرِ بني أُمَيَّة «٤٠ ــ ١٣٢هـ» ، كما أنّهُ أدرك عصرَ بني العبَّاسِ « ١٣٢ هـ ــ ٦٥٦ هـ » ؛ فهُوَ لِذَلِك من

---

(٤٣) ينظر : كتاب نسب قريش ، لأبي عبد الله مصعب الزُّبَيريِّ ، نش المستشرق ليفي بروفنسال ، «ط : دار المعارف» ،« ١٥٨ » .

(٤٤) المصدر السابق : «٩٨ » .

(٤٥) المصدر السابق :«٩٨ ، ٩٩» .

الشُّعراءِ المُخَضْرَمينَ ، بل كانَ العَبْلِيُّ من الشُّعراءِ المُجيدين ، وكان من الطَّبيعيِّ أنْ تتكلمَ مصادرُ التَّاريخِ والأدبِ والتَّراجمِ عنه ، كما تكلَّمَتْ عن غيره بإسهابٍ ، وقد ذهبتُ إلى هذه الذَّخائرِ أُسائلُهَا ، فعَيَّتْ جواباً عن كثيرٍ ممَّا كنت أَبحثُ عنه وأطلبُه ، ومع ذلك فَإنَّها لم تضنْ عنَّا باليسيرِ ، فقد حاولتُ من خلالِ ما قدَّمتْ ومنحتْ أن أُقَدِّمَ صورةً لحياةِ العَبْلِيِّ .ولكي نستطيعَ الوقوفَ على معالمِ هذهِ الحياةِ كان لابُدَّ من طرحِ هذا السُّؤالِ ، كيف كانتْ الأيَّامُ الأُولى للشاعر ؟ ؛وهي جديرةٌ بالاهتمام ، لأنَّ هذهِ اللَّحظاتِ المبكِّرة من حياة الشَّاعرِ تُشَكِّلُ وِجدانَه وفكرَه وتُحدِّدُ انتماءاتِه وتوجُّهاتِه . وإذا كانت المصَادرُ لمْ تتكلمْ عن الميلادِ والأيَّام الأُولَى، فإنَّها كانتْ سخيَّةً عندما أشارتْ إلى أوَّلِ ظُهُورٍ للشَّاعرِ على مسرحِ الأحداثِ ، وقد كانَ هذا الظُّهُورُ في خلافةِ هشامِ بن عبد الملكِ «ت :١٢٥ هـ » ، فقد جاءَ إليه ودخلَ عليه ووقف بين يديه وكان عنده وفدٌ من بني مخزُومٍ، وانشَدَه قصيدته الدَّاليَّةَ ، وممَّا جاءَ فِيها[٤٦] :

«من الخفيف»

يابنَ خَيرِ الأخيارِ منْ عبدِ شَمْسٍ	يا إمَامَ الوَرَى وربَّ الجُنُودِ
عبدُ شمسٍ أبُوك وهْوَ أَبُونا	لا نُنَادِيكَ منْ مكَانٍ بعيدِ
ثُمَّ جَدِّي الأدْنَى وعمُّك شَيخِي	وأبُو شَيخِكَ الكريمِ الجُدُودِ
فاثْبِنِي ثَوابَ مثْلِك مثْلِي	تلْقَنِي للثَّوابِ غيرَ جَحُودِ

(٤٦) الأغاني : " ١١ / ٢٠٧ " .

والقصيدةُ يمكن مـــن خلالِها توضيحُ العلاقة بين الشَّاعرِ وخُلفـــاءِ بنـــي أُمَيَّة ، فهي علاقة حميمةٌ ،المودّةُ لُحمتُها والمحبةُ سُـــداها ، ولا شـــك أنَّه كان بينهما ذهابٌ وإيابٌ ،وفي هذا ردٌّ على مـــن زَعَـــمَ أنَّ عـــدمَ احتفاءِ الرُّواةِ بشعرِ العَبْلِيِّ كان بسببِ بعدِه عن قصورِ الخلافةِ والخُلفاءِ . فقد ظنَّ الأُستاذُ مهديُّ عبد الحُسينِ في مقاله الَّذي تحدَّثَ فيـــه عـــنِ العَبْلِيِّ وشعرِه ونشره في مجلة الذَّخَائرِ اللِّبنانيَّة «أنَّ ما جعـــلَ الـــرُّواةَ ينصرفون عن شعر العَبْلِيِّ هو بعدُه عن قصور الخلفاء .. » (٤٧) .ولكنَّ الَّذي يمكنُ الاطمئنانُ إليه في هذا الأمر ، أَنَّ تدوينَ الشِّعرِ العربيِّ تمَّ في حُكمِ بني العبَّاسِ ، وقد كان للسِّياسةِ تأثيرٌ كبيرٌ في جمعِ الشعرِ. فبعض الرُّواة الَّذينَ قاموا بجمعِ التُّراثِ العربيِّ وبخاصةٍ من التُّراثِ الشعريِّ، تأثَّرُوا إلى حد ما بالسِّياسة العبَّاسيَّة الجديدة ، وقد كانت هذه السِّياســـةُ تقومُ على نبذِ القديم عندما يظهرُ أنَّ هذا القديمَ يمـــتُّ بصـــلةٍ إلـــى المُعارضين السابقين .

وفي الحديثِ عن حياة العَبْلِيِّ الشائكةِ والشائقة كان من الضَّـــرُوريِّ توضيحُ أمرينِ :

١ ــ علاقةُ الشَّاعر ببني هاشم :

كان شاعرُنا ممن يميلُ إلى بني هاشمٍ ويحبُّهم ، وكيـــف لا ؟ وهـــم رهطُ النَّبيِّ ﴿ﷺ﴾ وآلُه ، كما كان لهذا الميلِ أســـباب مقبولـــةٌ ، فقـــد عاش بنو هاشمٍ أيَّاما صعبةً قاسيةً في إبَّانِ الحكمِ الأُمويِّ ، لمـــاذا كـــان ذلك ؟ لأنَّهم قالوا كلمةَ حقٍّ كان لابدّ لهُم أن يقولوها، فقد وقف أئمـــةُ

---

(٤٧) مجلة الذخائر اللبنانية : العدد الأول ،«١٤٢٠ هـــ ــ ٢٠٠٠م » ، مقال للأستاذ / مهدي عبد الحسين ،«١٨٧ » .

البيتِ الهاشميِّ في وجهِ الأُمويين عندما أرادُوا أن تكونَ الخلافةُ دائمةً فيهم ، وقد كان لهذا الإباء الهاشميِّ دور لا ينكرُ في تصدُّعِ العرشِ الأُمويِّ ، وكان لابد من تضحياتٍ عظامٍ تليقُ بعظمةِ ما كانوا يريدونه من خيرٍ لهم وللأُمَّة الَّتي كانتْ أبدا مقهورةً. من هنا كان حُبُّ الشَّاعرِ وطربُه لهم وعليهم ، وقد كان صاحبُ كتابِ الأغانيِّ ممن ذكروا ذلك ، يقولُ : «كان العَبْلِيُّ في أيَّامِ بني أُميَّةَ يميلُ إلى بني هاشمٍ ..» [٤٨]. ولكنَّ عندما نقرأُ شعرَ العَبْلِيِّ لنرى الترجمة الشعريَّة لهذا الحُبِّ نجدُ أنَّ الشعرَ الَّذي قاله في بني هاشمٍ لا يتناسبُ طرديًّا مع هذا الحبِّ ، هل لأنَّ الشاعرَ لم يُكثِرْ فيهم من قول الشعرِ ؟ أم لأنَّ ما قاله فيهم من شعر قد لعبتْ به يدُ الزَّمان ، أم كان للسِّياسةِ رأيٌ فيه في عصر العبَّاسيين الَّذين كانوا يُلاحقون العلويين بالسِّنان وباللِّسان ؟ ولا يمكن أن نُلْقِيَ بالتَّبعةِ على أمرٍ دون الآخر ، فلقد كانت كُلُّها مُتَّهَمَةً . ومن شعر العبْلِيِّ الَّذي وصل إلينا ــ في بني هاشم [٤٩] :

«من الخفيف »

شَرَّدُوا بِي عِندَ امتدَاحِي عليًّا ورأَوا فِيَّ دَاءً دوِيًّا[٥٠]

---

(٤٨) كتاب الأغاني : «١١ / ١٩٨» .

(٤٩) السابق : «١١ / ١٩٩» .

(٥٠) الشطر الثاني من هذا البيت مكسور ، ويستقيم لو قلنا : ورأوا فيَّ الدَّاءَ و الدَّويَّا ، ولكن قد يستقيم البيت وزنا ، لكنه سيؤدي إلى اضطراب في المعنى . وهناك رواية أخرى جاءت في كتاب رحلة الشعر : د/ مصطفى الشكعة "٣٦٢ " على هذا النحو : " ورأوا فيَّ ذاك داءً دويًّا " .

فَوَرَبِّي لا أَبْرَحُ الدَّهْـــرَ حتَّى تَخْتَلِي مُهْجَتِي بحُبِّي عليًّا
وبنيهِ لحُبِّ آلِ أحْمَـــــدَ إنِّي كُنْتُ أَحْبَبْتُهُمْ بحبِّي النَّبِيًّا
حُبُّ دينٍ لا حُبُّ دُنيـــا وشَرْ رُ الحُبِّ ما كانَ دُنْيَاوِيـــا

لقد كابد العَبْلِيُّ مُكابدةً في سبيل بني هاشم لم يضِقْ بها صدْرُهُ ، وإنَّما ظلَّ على العهدِ والميثاقِ الَّذِي أخذه على نفسه مـــن نُصْـــرَةِ بنـــي هاشم . وفي الأبياتِ السابقة تجسيم وتجسيدٌ لهذا الحـــبِّ فـــي صـــورة عملية ، فقد شُرِّدَ في البلادِ وهام على وجههِ من أجلهم . ولـــم يكـــن نضالُه معهم بلسانه كما كان يفعلُ حسان بـــن ثابـــت الأنصـــاريِّ«٥٤ هـــ»[٥١] مع الرَّسول﴿ﷺ﴾ ، ولكنَّه ناضلَ عنهم بلسانهِ وسنانه . فقد خاضَ معهم في حروبهم ، والتَّاريخ يُوَثِّق ذلك . فقد رأينـــا العلـــويين يحملون السِّلاحَ في وجه العباسيين ؛ لأنهم اســـتأثَرُوا برفـــدِ الخلافـــة لأنفسهم ، وليت الأمرَ وقف عند هذا الحدِّ ، فقد هبَّت الرِّياحُ العواصفُ على السُّفن الهاشمية العلويَّةِ الَّتي كانت مهيضةَ الجناح ، فرأَوا الويلَ والثُّبورَ ألوانا وأشكالاً ، فحَبْسٌ هنا وقَتلٌ هناك ، مما حدا بالعلويين أنْ يُشَمِّرُوا عن سواعدِ الجدِّ ؛ لعلَّهُمْ أن يظفَرُوا ولو بخُفَيِّ حُنَين .

---

(٥١) حسان بنُ ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ، الخزرجيُّ ، الأنصاريُّ ، شاعرُ الرَّسول ﷺ في الإسلام ، فقد كان شعرُه بعد إسلامه في الذَّودِ عن الرَّسول والإسلام والصحابة الأجلاءِ ، وكان في شعره مؤيَّداً من الوحيِّ الكريم . ينظر فيه : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسي ،«ط : ٥ » ، دار المعارف ،«١٩٨٢ » ، « ٣٤٧ » ، وحسان شاعر الرسول : لجواد سليمان ،مكتبة الجامعة ، «٧ » .

فها هو النفسُ الزَّكيَّةُ « ت : ١٤٥ هـ » [٥٢] يخرجُ على بني العبَّاسِ ، ويرى ذلك العَبْلِيُّ ، فيُلبِّي النِّداءَ ، ويكونُ في مقدِّمة جيوشِه الَّتي تحرَّكتْ في كلِّ مكان ، رأيناها في العراق ، ورأيناها في الحجاز ، وعندما لاحَ بعضُ النَّصْرِ ، وظهرتْ في الأُفْقِ بشائِرُهُ ، يُصْدِرُ النَّفْسُ الزَّكيَّةُ « ت : ١٤٥ هـ » قرارَه بتولِّيةِ العبليِّ ولايةَ الطَّائفِ ، يقولُ أَبُو الفرج في ذُلِك: «قدم العبلِيُّ الطائفَ والياً من قبلِ محمد بن عبد الله بن حسن أيام خروجه على المنصور "ت : ١٥٨ هـ..." [٥٣]، لكن سرعان ما سمع بهزيمةِ النَّفسِ الزَّكيَّةِ ، فاستخلَفَ على الطَّائفِ ، وكان يريد الذَّهاب لمناصرتِه في المدينةِ ، لكنَّه علم بمصرعه ، فكان الخيارُ الأخيرُ بالذَّهاب إلى اليمن ، وهناك تنقطع أخباره .

---

(٥٢) محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّه بنِ الحسن بن الحسنِ بن عليٍّ بن أبي طَالبٍ ،كان يرى نفسه جديراً بالخلافة ، وقد بايعه النَّاسُ ، وكان ممن أيَّده الإمام مُالك بُنُ أنسٍ إمام دار الهجرة ، فقد ذهب النَّاسُ إليه وسألوه عن جوازِ الخروجِ على المنصور اللَّذين قد بايعوه مُكرَهين ، فأفتاهم بجواز ذلك ،لكنَّ النفس الزكية لم يحققْ ما كان يتمنَّاه . ينظر : كتاب نسب قريش : «٥٣ » ، وكتاب النصرة لشيعة البصرة : «ط : مكتبة مدبولي » ، «١٠٨» ، وكتاب الشيعة في التاريخ : «ط : مكتبة مدبولي» ،«٨٢ » .

(٥٣) الخليفة العبَّاسيّ الثاني ، تولّى الخلافة بعد أخيه السفاح ، وهو من الخلفاء الكبار ، وهو الذي قام ببناء مدينةَ بغدادَ الَّتي كانتْ تُسمّى بمدينة السَّلام ، وكانت الخلافةُ بعد ذلك في أبنائه ، وقد مات المنصورُ بمكَّة وهو ذاهبٌ لأداءِ فريضة الحجِّ ودفن بالحُجُونِ سنة ١٥٨ هـ . ينظر : كتاب نسب قريش : «٣١» ، كتاب تاريخ الطبري : «ط : دار الكتب العلمية » ، «٤ / ٣٧٥» .

إذا كان هذا ما قام به الشاعر العَبْليُّ مع بني هاشم ، فماذا كان فعلُهُمْ معه وقد زالتْ دولةُ بني أُميَّة العَبْشَميَّة الَّتي كان دائما يفتخرُ بالانتساب إليها، ولقد وجدنا السَّخاءَ الهاشميَّ الفريدَ ، لقد تعاطفوا معه برغم كونهم أعداءَ الأمس ، وبخاصة بعد الدِّماء الكثيرةِ الَّتي سالتْ منهم علي أيدي العبَّاسيين ، وقد كان لهذا الانتقامِ أسبابُه الَّتي ساقَتْ إليه ، وقد حرَّك هذه الكوامنُ الَّتي لم يخبو لهيبها مع هذه الأيام الطويلة التي مرَّت ثقيلة الشاعرُ سُدَيف بن ميمون «١٤٦ هـ »[٥٤]، فقد دخل ذاتَ يوم فوجد الأمويين يجلسون في مجلس الخليفة العباسيِّ السَّفَّاحِ «١٣٦ هـ » [٥٥]فهاجَه ذلك ، وقال سينيتَه الَّتي سلطتْ السَّيفَ على رقاب الأُمويين الحاضرين جميعا والغائبين ، يقول سُدَيفٌ [٥٦] :

---

(٥٤) هو سديفُ بُن ميمون ، مولى بني هاشم ، شاعرٌ حجازيٌّ ، غير مُكْثِر، من أهل مكَّةَ ، كان أعرابياً حالكَ السَّواد ، شديدَ التَّحريض على بني أميَّةَ ، كما كان متعصِّباً لبني هاشمٍ ، وعاش إلى زمن المنصورِ العبَّاسيّ ، فتشيَّعَ لبني عليٍّ ، ويبدو أن هذا كان سببا ًفي مقتله على يد عبد الصَّمدِ بن على ّعمّ السَّفاحِ ، قام الأستاذ مهدي العبود بجمع شعره . ينظر الأعلام :«٣ / ٨٠» .

(٥٥) الخليفةُ الأوَّلُ في الدَّولةِ العبَّاسيَّة ، ولُقِّب بالسَّفاح ؛ لأنَّه سفك كثيرًا من الدِّماء وبخاصة دماءُ بني أميَّة ، وقيل لُقِّب بذلك لسفحه الأموالِ ، ولكنَّ الرأيَ الأوَّل هو الأقربُ ؛ لما ذكرته كتبُ التَّاريخِ . ينظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي :«٢٠٥ » .

(٥٦) الأغاني :«٤ / ٣٤٥ » ، ط : دار الكتب ، وقد نُسبَتْ هذه الأبياتُ لشِبْلِ بنِ عبد اللَّهِ في كتاب الكامل ،«ط : ثالثة) ، طبع دار الكتب العلمية ، «١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م ».

«من الخفيف»

أَصْبَحَ الْمُلْكُ ثَابِتَ الأَسَاسِ ... بِالْبَهَالِيلِ منْ بني العَبَّاس[٥٧]

بالصُّدُورِ الْمُقَـــــدَّمِينَ قَدِيماً ... والرُّؤُوسِ الْقَمَاقِـمِ الرُّوَاسِ[٥٨]

يَا أَمِيرَ الْمُطَهَّـــــرِينَ منَ الذَّمْ ... مِ وَيَا رَأْسَ مُنْتَهَى كُلِّ راسِ

لا تُقِيلَنَّ بَنِي عبدِ شمسٍ عِثَاراً ... واقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وغِرَاسِ[٥٩]

أَنْزِلُوهَا بحيثُ أَنْزَلَهَا اللّـــــَ ... هُ بدارِ الهَوانِ والاتعاسِ

أَقْصِهِمْ أَيُّها الخليفةُ واحسِمْ ... عَنْكَ بالسَّيفِ شَأْفَةَ الأَرجاسِ[٦٠]

واذكُرَنَّ مصْرَعَ الْحُسينِ وزيدٍ ... وقتيلٍ بجانبِ المِهْـــراسِ[٦١]

والإمـــــامَ الَّذِي بحرانَ أمسَى ... رهْنَ قبرٍ في غُربَةٍ وتناسِي

فقدْ ساءني وساءَ سوائـــــي ... قُربُهُمْ من نمارقٍ وكراسِي(٦٢)

---

(٥٧) التفعيلة الثالثة من الشطر الأول مكسورة ، وتستقيم هذه التفعيلة لو قلنا : أصبح الملكُ ثابتاً في الأساس .

(٥٨) الرؤوسُ القماقم : الرؤوس المجمّعة لا المفرّقة . ينظر : مختار الصحاح :«١٦٣ » .

(٥٩) التفعيلة الثانية من لشطر الأول مكسورة ، وتستقيم هذه التفعيلة لو قلنا فيها :أنت مهديٌّ هاشم وهداها .

(٦٠) رقلة : نخلة .وهي كناية عن كبار الأمويين ، وغراس : كناية عن صغارهم . ينظر : اللسان :«١١ / ٩٣ » ، «ط : دار صادر » .

(٦١) شأفة الأرجاس : أصل الأرجاس ، ويقصد بذلك الأمويين . ينظر اللسان : «مادة : شأف » .

(٦٢) المهراس : مكان قتل فيه يحيى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالبٍ ، والتفعيلة الأخيرة من الشطر الثاني حذف فيها أول الوتد المجموع ، وهذا الحذف يسمّى علة ، وهي لازمة ، ومع ذلك لم يلتزم بها

وحين سمع السفّاحُ «١٣٦ هـ »الأبياتَ السابقةَ أمرَ بقتل الأمويين جميعا صغاراً وكباراً ، وقد كان العبليُّ يترقَّبُ من بعيدٍ ،وجاءت الأنباءُ حزينةً ، فأسفَ لذلك ، وتحرَّكتْ الشاعريةُ بآلامه التَّي لم يكن يخفِيها ، بل كان يُظهِرُها أمام من كانوا سبباً فيها ،وسنقف من خلال هذا البّحث على الكثير من القصائد التي كانت بكاء حاراً على الأمويين . ومن شعره الذي قاله في رثاء قومه [٦٣]:

" من الخفيف "

تَقُولُ أُمامةُ لَمَّا رأتْ نُشُوزِي عنِ المَضْجَعِ الأنْفَسِ
وقِلَّةَ نَومِي على مَضْجَعِي لدى هَجْعَةِ الأعْيُنِ النُّعَسِ
أَبِي ما عراك فقلت الهمومَ عَرَوْنَ أَبَاكِ فلا تَبْلَسِ
لفقدِ العشيرةِ إذ نالها سهامٌ من الحدث المُبْئِسِ

هذه القصيدة من القصائد الباكية المبكية في الأدب العربيِّ ، وقد طارت شهرتُها في عصرها ، ولا أعلم لماذا لم تُذكَرْ هذه القصيدةُ مع ما يذكرُ من شعرٍ قيل في رثاء الممالك الزَّائلةِ ، مع أنَّها كانتْ من أوَّل ما قيل في هذا البَّاب .

أَقولُ لقد تعاطفَ الهاشميون العلويون مع الأمويين بعد الفظائعِ التي

الشاعر.

(٦٣) الأغاني :«١١ / ٢٠١ » ، ط : دار صادر .

أُرتُكِبتْ في حقِّهم كنوعٍ من المشاركة الوجدانية للعبليِّ، وقد كان هذا التَّعاطفُ يبلغُ مداه عندما كانوا يستمعون إلى العبليِّ وهو يُنشِدُ قصيدتَه في رثاءِ قومه . فقد قيل إنَّ « العبليَّ جاء إلى سُوَيقَةِ بني العبَّاسِ ، وذلك بعقبِ أيام بني أمية وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس ، فقصده عبدُ اللَّه بنُ الحسن بن الحسن « ١٤٥ هـ » بسُوَيقَةَ ، فاستنشده شيئاً من شعره ، فأنشدَه ، ثم قال أريد أن تنشدني شيئا مما رثَيت به قومك ، فأنشده القصيدة السابقة ، فلما أتى عليها بكى محمد بنُ عبد الله بن الحسن «النَّفسُ الزَّكيةُ » ، فقال له عمُّه : أتبكي على بني أميَّة ، وأنت تريدُ ببني العبَّاس ما تريدُ ؟فقال : واللَّه يا عمُّ لقد كنَّا نقِمنا على بني أميَّة ، فما بنو العبَّاس إلا أقلُّ خوفاً للَّه منهم ، وإن الحُجَّة على بني العبَّاس لأوجب ، ولقد كان للقوم أخلاقٌ وفواضلُ ومكارمُ ليستْ لأبي جعفر المنصور.»(٦٤).

٢ ــ علاقة العبلِيِّ ببني أمية:

رأينا كيف كانت علاقةُ العبليِّ ببني هاشم ، وقد كانت العلاقة بينهما علاقة حُبٍّ ومودَّةٍ ، وهذا يسوقنا إلى محاولةٍ لفهم العلاقة بين شاعرنا وبين بني أمية ، فهل كانت العلاقةُ بينهما متوتِّرةً ، أمْ كانت العلاقةُ بينهما طيِّبةً ليس فيها ما يكِّدرُ صفوَها .وسوف نبدأ حديثنا عن هذه العلاقة من مقولة جاءت في كتاب الأغاني ، يقول أبو الفرج :«كان العبليُّ يذُمُّ بني أميَّة ، ولم يكن إليه صُنعٌ جميل ، فسلم بذلك في أيام

(٦٤) الأغاني :«١١ / ٢٠٢» .

بني العباس ، ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن »[٦٥] . فهل يعني هذا أن الشَّاعرَ كان يذُمُّ قومَه ؟ وإذا كان الأمرُ كذلك فأينَ هذا الذَمُّ في شعرِه؟ وكيف طوَّعت نفس أبي الفرج أن يقول ذلك عن العبليِّ ؟ . وما يمكن الاطمئنانُ إليه في الحكمِ على علاقةِ العبليِّ ببني أميَّة شعرَه ، وشعرُ العبليُّ كما جاء في كتاب الأغاني الَّذِي كاد أن يكونَ هو المصدرُ الوحيدُ لشعرِه ليس فيه ما يدلُّ على ذمِّ الشاعرِ لبني أميَّة سوى بيتين ، وقد قال الشَّاعر البيتين بعد مدحِه للخليفة هشام بن عبد الملك « ت : ١٢٥ هـ » ، والخليفة لم يعطه ما كان يحلم به من نَوال ، فكان هجاؤه لبني أميَّة ؛ لأنَّه لم يحظَ عندهم بما كان يُؤمِّلُ . فهل يُمكنُ أنْ نحكمَ على علاقة بين طرفين من خلال بيتين قيلا في لحظةِ غضبٍ ؟ ثُمَّ لو تركنا البيتين وذهبنا إلى شعره نستنطقه ، لرأينا فيه تقديراً وحبًّا لبني أمية وإعجابا ليس له مثيل . وهذا ما سوف نقف عليه من خلال هذا البحث إن شاء الله .

---

(٦٥) السابق : «١١ / ١٩٨ » .

الفصل الثانى
المبحث الأوَّلُ
رثاءُ الأمويين

للعَبْلِيِّ شعرٌ في رثاءِ بني أُمَيَّةَ ، وشعرهُ هذا حُجَّةٌ دامغةٌ تدفعُ أَيَّ شك في حُبِّه لهُمْ ، فقد كانَ الشَّاعرُ العَبْلِيُّ مُخْلِصاً لقومهِ ، وقد تجلَّى هذا الحبُّ والودُّ في شعره وبخاصة في شعره الرِّثائي ؛ لأنَّ ما يُقالُ في الرِّثاءِ يُقالُ من أجلِّ الوفاءِ ، فلم تَعُدْ هُناك رغبةٌ ولا رَهْبةٌ . لكنَّ هناك من يُشككُ في مشاعر الشَّاعرِ تجاه قومهِ ، ويقولُ كان الشَّاعرُ في أيَّامِ بني أُمَيَّةَ يميلُ إلى بني هاشم ويذُمُّ بني أُميَّة ، وقد قلْنا فيمَا سَبَقَ إنَّ مَيلَ الشَّاعرِ لبني هاشمٍ لا ريبَ فيهِ ولا حرجَ منْه ، ولكنْ أنْ يقالَ إنَّه كان يذُمُّ بني أُميَّة أو أنَّه كان يكرههُمْ ، فهذا يحتاجُ ممَّن قالَ بذلِكَ أن يأتيَ بالدَّليلِ . و ممَّن قال بعدم حُبِّ الشَّاعرِ لقومِه الأستاذُ الدكتور / مصطفى الشَّكعةِ ، ومِن ذلك ما جاءَ في كتابه « رِحلةِ الشِّعرِ » يقولُ «كان لا يَرضَى عنِ الحكَّامِ من قَومهِ ؛ فَيميلُ إلى بني هاشمٍ ، ويذُمُّ بني أُميَّة ، ويكرَهُ ما عليه قَومُه منْ سبِّ عليٍّ بن أبي طالب ... »[٦٦] ، ويقولُ في مكانٍ آخرَ من كتابه « وهو لا يكتفي بإظهَارِ مودَّته لبني هاشم وحَسْبَ ، بلَ يُقَرِّصُ قومَه من بني أميَّةَ ، ويتمنَّى لو لم يكُنْ

---

(٦٦) رِحْلَةُ الشِّعْرُ : د / مصطَفَى الشَّكْعَة ، "ط : الأولى " ، الدار المصرية اللبنانية ، " ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م " ، «٤٦٢» .

منْهُم وكانَ من بني مخْزُومٍ .....» [٦٧]. وكلامُ أستاذنا لا يستقيمُ مع نفسه ، فهُو يقولُ إنَّ الشّاعرَ كان لا يرضَى عن الحُكَّامِ من قومه ولكنْ لمَاذا ؟ لأنَّه يميلُ إلى بني هاشمٍ ، ،فهلْ عدمُ الرِّضا عن الأهلِ يدفَعُ إلى حُبِّ الآخرين مع أنَّ حُبَّهُم من الدِّينِ ، وهلْ يَمنَعُ حُبُّ بني هَاشمٍ من حُبِّ قومه . لقدْ كانَ الشَّاعرُ العَبْلِيُّ مُحبّاً لقومه مخلصاً لهُم في حياتهِم عِنْدَما كانَتْ الدُّنيا في أيديهِم وكذلك عنْدما أُخرِجوا منها ، ويؤكِّد هذَا :

١ ــ أنَّه كانَ يمدَحُهُمْ في شعْرِه كَثِيْرًا، وقَدْ ضَاعَ كَثِيرٌ مِنْ شعْرِهِ الَّذِي قِيلَ فِي مَدْحِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ ، ومَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يَفِيْضُ بِحُبِّهِمْ.

٢ ــ أنَّ مَا جَاءَ مِنْ شِعْرِهِ فِي مَدْحِ قَوْمِهِ فِي حَيَاتِهِمْ أَكْثَرُ مِمَّا قَالَهُ فِي مَدْحِ بَنِي هَاشِمٍ .

٣ ــ أَنَّهُ لَو كَانَ يُحِبُّ بَنِي هَاشِمٍ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِ لقَوْمِهِ ، لَخَرَجَ مَعَهُمْ وحَارَبَ فِي صُفُوْفِهِمْ ، فَقَد قَامَ الْهَاشِمِيُّوْنَ بِثَورَاتٍ كَثِيْرةٍ أَثْنَاءَ الْحُكْمِ الْأُمَوِيِّ ، ولَمْ نَرَ لِلْعَبْلِيِّ مُشَارِكَاتٍ فِي هَذِهِ الْحُرُوبِ .

٤ــ أنَّ الْهَاشِمِيِّينَ قَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ الْكَثِيرونَ فِي مُوَاجَهَتِهِمْ لِلْأُمويِّينَ ،ومَعَ ذَلِكَ لَمْ تُحرِّكْ هذِهِ الْمَآسِي الشَّاعِرِيَّةَ عِنْدَ الْعَبْلِيِّ

٥ ــ أنَّ ما قِيلَ عَن بُغضِ العَبْلِيِّ لقَوْمِه لَمْ يَكُن بسببِ بُغْضِهِمْ وسبِّهم لِبَنِي هَاشِمٍ ، وإنَّما كان ذلك كمَا جاءَ في الأغَاني ؛ أنَّه فضَّلَ بنِي مَخْزُوْمٍ عليه في العَطَاءِ . و قدْ فَعَلَ

---

(٦٧) السَّابِقُ : «٤٦٢ » .

ذلك مع العَبْلِيِّ الخَلِيفةُ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ « ت : ١٢٥ هـ » ، ولكنْ يُمْكِنُ أَنْ يكونَ لهشامٍ عذرٌ، فقد يكونُ هشامُ قد نظَر إلى ما حَدَثَ مع الخليفةِ الرَّاشِدِ عُثْمَانَ بنِ عفَّانَ « ت : ٣٥ هـ » ، الَّذِي قِيلَ عنه إنه كان يخصُّ بني أُميَّة بالأموالِ والولاياتِ ، وقد حدث لعثمان ما حدث بسبب هذا الافْتِرَاءِ ، فهلْ كان يريدُ هشامٌ أنْ يحدثَ معَه مِثْلَ الَّذي حدثَ مع عثمانَ ؟ .

٦ــ أنَّ شعرَهَ الَّذِي قالَهَ في رثاءِ بني أميَّة بعد غِيَابِ شمسِهِمْ دليلٌ على حُبِّهِ لهم في حياتِهِمْ .

٧ ــ أنّه كانَ يجهرُ بشعرِهِ في رثاءِ بني أميَّةَ أمامَ أعدائِهم من العبَّاسيين في إبَّان عزِّهِم ومجدِهِم ، وقدْ رَأينَاه يفعلُ ذلك أمامَ المنصُور «ت : ١٥٨هـ » ، فقد أرسلَ إليه المنصور بالقدوم ، فذهبَ إليه ، وإذ بالمنصورِ يطلب منه أن يُنْشِدَهُ شيئاً من شعرِهِ الَّذِي قاله في قومِه ، فيعتذرَ إليه ، ولكنَّ المنصورَ يُصرُّ على طلبه ، ولم يجدْ مفرّاً من ذلك ، ويُنْشِدْه ، لكنَّ الخليفةَ يغضبُ، وكانَ لابُدَّ أنْ يغضبَ .

٨ ــ أنَّ منْ قالَ عنْه إنَّه كان يكَرهُ قومَه ، أشادَ بشعرِه الَّذِي قالهُ في رثاء قومِه ، يقولُ الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة : « لقدْ كانَ العَبْلِيُّ الأمويُّ صادقاً كلَّ الصِّدقِ في إحساسِه بأُفولِ نجم قومِهِ وغُروبِ شمسهم » .

٩ ــ أنَّ العبليَّ عندما نجحتْ الجيوشُ العباسيةُ في هزيمة الأُمويين قد هرب مع من هرَبَ من الأمويين ، كما أنَّ العباسيين قد أخذُوا أهلَه ومالَه .

١٠ ــ أنَّ عفوَ الخليفة السفَّاحِ عنه لم يكُن لأنَّه كان ممَّن

يميلُ إلى بني هاشمٍ، وإلَّا فلماذا كان الأخذُ للأهلِ والمالِ . وقد يطرحُ هذا السؤالُ نفسَه : لماذا ردَّ عليه الخليفةُ السفَّاحُ أهلَه ومالَه ؟ كان ذلك لأنَّه مدحَه بشعرٍ ذكرَ فيه القرابةَ الَّتي بين عبدِ شمسٍ وهاشمٍ ، وهما أخوان ، ولم يكُن ذلك لأجل الميلِ لبني هاشمٍ في عهدِ الأمويين ، كما أنَّ العبَّاسيين الهاشميين لم يحفَظوا لإخوانِهم العلويين الهاشميين حُرمةً ، فكيف بالأمويين . وكان ممَّا قالَهَ الشَّاعرُ العبليُّ في مدحِ الخليفةِ السَّفاحِ [٦٨]:

«من الوافر »

ومَنْزِلُ هاشمٍ منْ عبدِ شمسٍ مكانَ الجِيدِ من عُلْيا الفَقَارِ

إذاً كان العبليُّ يُحبُّ بني أُميَّة ، ولماذا كان يُحبُّهم ؟ لأنَّهُمْ أهلُه وقومُهُ ، وكذلك لأنَّ بني أُميَّة قدَّمُوا للإسلام خدماتٍ جليلةً « فقد كان عصرُهُم عصرَ جهادٍ في سبيل اللَّهِ ، وحروب وجيوشٍ انتشرتْ في ربوعِ الأرضِ من أجلِ نشرِ الإسلامِ وحمايةِ الدَّعوةِ ، وقد استفاضتْ الفتوحاتُ وامتصتْ طاقات، وقد وصلت الفتوحاتُ إلى أقصى اتِّساعٍ لها من الصِّينِ شرقاً إلى المغرب والأندلسِ ، ولم يكن عصرُ الأمويين عصرَ استقرارٍ بل كان عصرَ جهاد وكفاحٍ ؛ لتثبيت أركانِ الدولةِ دولةِ الإسلامِ الكبرى ...» [٦٩].

---

(٦٨) كتاب الأغاني : « ١١ / ٢٠٠ » .

(٦٩) كتاب النوازل الكبرى :«٤٣ ، ٤٤ » .

ولذلك رثاهم العَبْلِيُّ ــ بنــي أميَّةــــ ، وهــو بــذلك يكــونُ قــد فتحَ باباً جديداً مــن أبــوابِ الشِّــعرِ العربــيِّ وهــو رثــاءُ الــدِّولِ والممالكِ ، هذا البابُ ظــنَّ الــبعضُ أنَّ بدايتَــه كانــتْ بعــد ســقوط الخلافةِ العبَّاسيةِ علــى أيــدي التَّتــارِ ، وظــنَّ الــبعضُ الآخــرُ أنَّ بدايتَه الحقيقيةَ بعد ســقوطِ بعــضِ المُــدنِ الأندلســيَّةِ الَّتــي كانــت نذيراً بسقوط فردوسِ الإسلامِ ، وفــي الحقيقــة كــان العبلــيُّ « أولَّ من فتحَ هذا الموضوع فرثى دولةَ بنــي أميَّــة ، ومــن أجــلِ ذلــك كان العّبْلِيُّ خيرَ الشُّعراءِ من بني أُمية » .(٧٠)

وشعرُ العبليِّ الرِّثَائيِّ في بني أمية يكشِفُ عن :

١ ــ حُزنِ العبليِّ على بني أميَّة :

لقد كان العبْليُّ حزيناً حزناً شديداً علــى أُفُــول شــمسِ الخلافــة الأُمويَّة ، وكيف لا يكونُ كذلك ؟ وهــم أهلُــه وعــزُّه وشــرفُهُ ، وقــد جاء هذا المعنى في شعرِهِ ، يقولُ (٧١) :

«من الكامل»

ما بالُ عينِــكَ جائِلاً أقذَاؤُهــا شرِقِتْ بعَبْرَتِهَا وطالَ بُكاؤُهــا(٧٢)

---

(٧٠) رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية :«٢١ » .

(٧١) كتــاب الأغــاني : «١١ / ٢٠٧ » ، ومجلــة الــذخائر اللبنانيــة : «١٨٨ » .

(٧٢) البالُ : الحالُ والشأنُ ، وأمــرٌ ذُو بــالٍ : أي شــريفٌ ، والبــالُ القلــبُ . ينظر : لسان العــرب : «١١ / ٧٤ » ، ط :دار صــادر بيــروت . العــينُ

ذكرَتْ عشِيرَتَها وفُرقَةَ بَينِهَـا فطَـــــوتْ لذلِكَ غُلَّةً أحشَاؤُهـا[٧٣]

واعتَادَهَـا ذكرُ العَشيرةِ بالأَسَى فصباحُها نابٍ بها ومساؤُهـا[٧٤]

أرادَ الشَّـاعرُ مـن خـلالِ الأبيـات السـابقة أن يرسـمَ لوحـةً حزينةً ، ولكنَّه يُحدِّدُ ملامحَهـا بالكلمـاتِ والأصـواتِ الشَّـجيَّةِ الَّتـي ترتفعُ عالياً بما فيها مـن حـروفٍ مجهـورةٍ ، فهـو حـزينٌ وحزنُـه قديمٌ ، والأفعال الماضية فـي أبياتـه تُـوحي بـذلك وهـي كثيـرةٌ ، ومـن هـذه الأفعـالِ قولـه : «شـرقتْ» ، و«طـال» ،«ذكـرتْ » ،« طوت» ، « اعتادَ » ، ولا ينسى الشاعرُ أن يذكرَ مـا كـان سـبباً فـي حُزنه فيقـول : « جـائلاً أقـذاؤُها » ، « ذكـرتْ عشـيرتَها وفُرقَـةَ

: التي يُبصرُ بها النّاظرُ ، وتجمع علـى : أعيـان ، وأعـين ، وأعيُنـات . ينظر اللسان :«١٣ / ٣٠٠ » . جائلُ : اسم فاعـل مـن جـال يجـول ، إذا دار في الحرب . ينظـر اللسـان :«١١/ ١٣٠ ».أقـذاؤها : مفردهـا : قذى ، والقذى : ما يقع في العـين مـن ذُبابـة ونحـوه ، وتجمـع كـذلك على قَذَيٌ . ينظر اللسـان : «١٥ / ١٢٢ » . شـرقت : فعلهـا ، شـرق ، = وهو دخول الماء الحلق حتـى يَغَـصَّ بـه . ينظـر اللسـان : «١٠ / ١٧٦ » . العَبْرَة : هي تحلُّبُ الدمع . ينظر : اللسان :«٤ / ٥٣٢ » .

(٧٣) العشيرةُ : عشيرةُ الرجل : بنو أبيـه الأدنَـون ، وقيـل هـم : القبيلـة ، وتجمع العشيرة : على عشـائر. ينظـر اللسـان :«٤ /٥٧٤ » . الطـيُّ : نقيضُ النَّشْرُ .والمصدرُ طيَّـاً وطِيَّـةً . ينظـر اللسـان: « ١٥ / ١٨ » . الغُلَّةُ : شدَّةُ العطشِ وحرارتُه ، وهي أيضا حـارةُ الحُـزنِ والحُـبِّ . ينظـر اللسـان : «١١ /١٩٨ » .أحشـاء : مفردهـا : حشَـى ، وهـو مـا دون الحجاب ممَّا في البطن من الكبـد والطحـال والكـرش . ينظـر اللسـان : «١٤ /١٧٨ » .

(٧٤) ناب : من النَّاب ، أي : طويل . اللسان : «١ م٧٧٦ » .

أهلِها » ، فقد كانت الهزيمة كبيرة والانتقام العبَّاسيُّ كان فظيعا، فقد قتلوا وسفكوا وشرَّدُوا الأُمويين ، وهذا ما جعله يشعرُ بما كان فيه من همٍّ وحزن ، وكيف لا يحزنُ ؟ وهم عشيرتُه وقومه ، ومن هنا كان حُزنُه طويلا ودائما وهذا ما أراد أن يقولَه في عباراته ، ومن هذه العبارات الَّتي تُوحي بهذا الحزنِ : « طال بكاؤُها » ، « ذكرُ العشيرةِ بالأسى » ، «فصباحُها » ، « نابٍ بها ومساؤُها » . ولم يقفْ حزنه عند الأسى والبُكاءِ ، بل كان حزنه سببا في ذهاب النَّومِ من عينيه وبعده عن مضجعه ، وفي ذلك يقول العبليُّ[٧٥] :

« من المتقارب »

تقولُ أُمامةُ لَمَّا رأتْ نُشُوزِي عنِ الْمَضْجَعِ الأَنْفَسِ[٧٦]

---

(٧٥) كتاب الأغاني :« ٢٠١/١١ » . وإذا كان العبليُّ في هذه الأبيات يرثي بني = أمية لما فعله بهم العباسيون ، فإن الأمير العباسيَّ عبد الله بن عليٍّ بن عبد الله بن عباس ينقض ما قاله العبلي بأبيات يظهر فيها سعادته بما حدث لبني أمية ، فيقول :

« من المتقارب »

شفى النَّفس لو أنها تشفى دماءٌ
بنهر أبي فُطْرُسِ
وقتلى كُدى حين أرديتُهُم
بكُثُوَة والواضحِ الأملسِ
وقتلى بوجٍّ من الظالمين
إلى النّار مارَتْ ولم تُرمَسِ

(١) المفردات :

النُّشُوزُ : مفرد : النَّشْز ، وهو مـا ارتفـع وظهـر مـن الأرض ، و النّشُـوزُ هو : الْكـرهُ بـين الـزَّوجين . ينظـر اللسـان : « ٥ / ٤١٦ » . المضْـجَعُ : المكان الَّذي ينام فيـه ن والجمـع المضـاجع . ينظـر اللسـان :«٨ / ٢١٨ » . الأنفسُ : المرغوب فيه ، وشيء نفيس : أي : يُتنـافَسُ فيـه ويُرغـبُ . ينظـر اللسان : «٦ /٢٣٨ » .

تخريج البيت :

جاء هذا البيـت فـي كتـاب أشـعار أولاد الخلفـاء ، للصـولي ، تحقيـق : ج. هيورث . دن ، طبع مطبعة الصاوي «٣٠٧ » :

« من المتقارب »

تقـــــــولُ أُمـــــــــامةُ لمَّـــــــــــــــــــــــا رأت

شُخُوصِي عـــــــــــــــنِ الْمنزلِ المُنْفِسِ

والبيت مستقيم في الروايتين .

كما جاء الشَّطر الثاني برواية أخرى فـي كتـاب التعـازي والمراثـي : للمبـرد توفى سنة ٢٨٦ هـــ ، « ط : الأولـى » ، دار الكتـب العلميـة ، » ، «١٤١٧ هـ ـــ ١٩٩٦م » ، «٩٨ » ، وهي :

«من المتقارب »

تقـــــــــولُ أمامـــــــــــــــــةُ لمَّا رأت

نُشُوزي عن المنزلِ المُنْفِسِ

(٧٧) الأعيُن : مفردها عين وهي : الحاسـة المعروفـة ، والأعـين علـى وزن : الأفعُل وزن من أوزان جموع القلَّة ، ومع ذلك فقـد يـدلُّ هـذا الجمـع أيضا على الكثرة ، ومن ذلك قوله تعالى « لهـم أعـين يبصـرون بهـا » . والنُّعَّسُ : مفرد نـاعس ،والنـاعس : مـن فتـرت حواسـه وتقـارب نومه . ينظر اللسان : «٦ /٢٣٣ » .

أبي ما عراك ؟ فقُلتُ الْهُمُـومُ عَـرَوْنَ أَبَاكِ فـلا تَبْلَسِـي[٧٨]
عرونَ أبـاكِ فحبَّسْنَـهُ من الذُّلِّ في شـرٍّ ما مَحْبَسِ[٧٩]
لفقدِ العشيرةِ إذ نالَـها سهامٌ من الحدثِ المُبْئِـسِ[٨٠]

---

(٧٨) عراه الأمرُ : غشيه وأصـابه . ينظـر اللسـان :«١٥ /٤٤». الإبـلاسُ : الانكسار والحُزن. ينظر اللسان : «٦ /٣٠».

تخريج هذا البيت :

جاء الشطر الثاني فـي كتـاب التعـازي والمراثـي : للمبـرد ، «٩٨ » بهـذه الرواية :

« من المتقارب »

أبَـــــي ما عَراك ُ الهُمـُـــــــــــــــــو م
عَرَيـــنَ أبَـــــاك فلـــا تُبْلِـــــــــــسِ

والبيت مستقيم في الروايتين .

(٧٩) جاء هذا البيت في كتاب التعازي والمراثي :«٩٨» ، بهذا الشكل:

« من المتقارب »

عَرَيْـــــــــنَ أبـــــــاك فحبَّسْنـــــــَهُ
من الطَّردِ في شرٍّ ما مَحبسِ

والبيت مستقيم في الوزن ، ولكن كلمة من الذُّلِّ أبلغ من كلمة من الطرد .

(٨٠) كلمة المُبْئِسِ فـي نهايـة الشـطر الثـاني جـاءت فـي كتـاب التعـازي والمراثي :«٩٨» الموئس ، والبيـت مسـتقيم فـي الـروايتين ، ولكـن رواية الأغاني هي الأفضل من ناحية المعني ، فكلمـة مـبلس أقـوي فـي الدلالة والمعنى من موئس .

وهذا ما جعل أُمامةَ ابنتـــه تســـأله عـــن ســـبب ذلـــك ، فكانـــت إجابةُ العبليِّ عن ذلك أنَّه حزينٌ لفقدِ عشـــيرتِه وقومِـــه ، وقـــد أجـــادَ الشَّاعرُ في انتقاء الألفاظ المُصوِّرة لهـــذ ا الحـــزنِ والألـــمِ ، فحزنـــه أذهبَ النَّوم من عينيهِ ولم تعُد لَديـــه رغبـــة فـــي مضـــجعِه مـــع أنـــه مضجعٌ نفيسٌ

ومرغوبٌ فيه ، ومن هذه الألفـــاظ الدالـــة علـــى ذلـــك قولـــه :« نشوزي عن المضجع الأنفسِ» ، «وقلَّـــةَ نـــومي علـــى مضـــجعي » ، وكيف لا يكونُ هذا شعورُ العبلـــيِّ ؟ والهمـــومُ الَّتـــي يُعانيهـــا كثيـــرةٌ والسِّهامُ التي أصابتْ قومَه أيضا كثيرةٌ .

٢ ــ أسبابِ غروب شمسِ الخلافة الأمويَّةِ :

لقد غربتْ شمسُ الخلافةُ الأمويةِ بعـــد واحـــد وتســـعين عامـــا ، ولم تكن هذه النِّهايةُ مرغوبًـــا فيهـــا ً كانـــت مُنتظـــرةً ،ولقـــد كـــانَ لهذا المصيرِ الحتميّ أسبابٌ دعَتْ إليه وقرَّبَـــتْ منـــه ، وقـــد تعـــدَّدَتْ الأسبابُ وتنوَّعتْ مابين أسبابٍ ظـــاهرةٍ وأســـباب كامنـــة ، والشَّـــاعرُ العَبْلِيُّ في رثائِـــه لبنـــي أميَّـــة يـــذكُر أســـبابَ أُفـــــولِ نجمِهِـــمْ ،

فيقولُ[٨١] :

« من الكامل »

شَرِكُوا العِدَا في أمرِهِمْ فتفَاقمَتْ منها الفُتُونُ وفُرِّقَتْ أهواؤُها[٨٢]
ظلَّتْ هناك وما يُعاتِبُ بعضُها بعْضَاً فينفعَ ذا الرَّجاءِ رجاؤُها
إلَّا بمُرهفةِ الظُّباتِ كأنَّها شُهُبٌ تقِلُّ إذا هوتْ أخطاؤُها[٨٣]
وبعُسَّلٍ زُرقٍ يكونُ خِضابُها عَلَقَ النُّحُور إذا تفيضُ دماؤُها[٨٤]
فذاكمُ أمستْ تُعاتَبُ بينها فلقدْ خشِيتُ بأن يُحَمَّ فناؤُها[٨٥]

---

(٨١) كتاب الأغاني : «١١ / ٢٠٧ » . ومجلة الذخائر اللبنانية :«١٨٨ » .

(٨٢) العِدا : مفردها : العدوُّ ، وهو الصَّديقُ ، وتجمع أيضا على : أعادٍ ، وأعداءٍ ، وعُداة . ينظر : اللسان : «١٥ /٣٦» . تفاقَمَ الأمرُ : عظُمَ . اللسان :«١٢ /٤٥٦ » . الفُتُونُ : الجنون ، وهو مصدر على المفعول . اللسان :«١٣ /٣١٨ ».

(٨٣) مُرهفٌ : الَّذي سُنَّ حدَّهُ . اللسان : «٩ /١٢٨» . الظُّبات : مفرده :ظُبة ، وهي حدُّ السيف . اللسان : «١ /٥٦٨ » .

(٨٤) العُسَّل: الرِّماح الَّتي يكون فيها اضطراب واهتزاز . ينظر اللسان :«١١ / ٤٤٦ » .زُرقٌ : يُقصد بها الرِّماحُ الصَّافية . اللسان : «١٠ /١٣٨ » .

(٨٥) حُمَّ : قُدِّرَ . اللسان :«١٢ /١٥٠ » .

فقد كان للأمويين أعداءٌ كثيرون ُ يتربَّصُون بهم الدوائرَ ، وهذا ما جعل الشَّاعرَ في هذه الأبيات يحرصُ على هذه الجُموعِ الكثيرةِ ، وقد تنوَّعت هذه الجموعُ ، فهي تأتي في إطارِ الحديثِ عن الأعداءِ للدَّلالةِ على ْكثرَتِهِمْ ، وذلك في مثل قوله :«العدا» ، أو في إطار الحديث عن السَّلاح الَّذي يقاتلُ به هؤلاءِ الخلافةَ الأمُويَّة للدلالة على كثرةِ هذا السِّلاح ومن ذلك قوله : « الظُّبات » ، « شهب »

، « وبعُسَّلٍ زُرقٍ » ، كما أنَّ الشاعر ُيُكثرُ من هذه الجموعِ عندما يصفُ المذابح العبَّاسيةَ للأمويين ، وهذا ما جاء في قوله :«نحور » ، « دماء » .

فالأمويون كان لهم أعداءٌ وهم كانوا على علمٍ بعدائهم ، ولقد كانت السِّياسيةُ الأمويَّةُ سبباً في استعدائِهم ، فعندما يحوِّلُ الأمويون الخلافةَ إلى النِّظامِ الوراثي ، كان لابدَّ أن يكونَ هناك معارضون ، وكان لابدَّ أن يكون هناك ضحايا بين هؤلاء المعارضين ، وذلك بلاشكٍ يعملُ على قوتِهم وصلابة شوكتِهم بل وكثرةِ أنصارِهم ، رأينا الخوارجَ ، والشِّيعةَ ، والزُّبيريين وثوراتِهم تنطلقُ في كلِّ مكانٍ في إصرارٍ على إسقاطِ الحُكمِ الأمويِّ ، وقد تمكَّن الأمويُّون من كسرِ شوكةِ الخوارجِ والزُّبيريين ، وظلَّ بنو هاشمٍ وحدهم في الميدانِ حتَّى تمكَّنُوا من إنهاءِ الحكمِ الأمويِّ ليقيموا دولةً تطلَّعُوا إليها كثيراً

. ولم تكن الأحزابُ المعارضةُ وحدها هي الَّتي عجَّلَتْ بنهايةِ الأمويين ، بل كان الصِّراعُ السِّياسيُّ في داخلِ البيت الأمويِّ من

الأسبابِ القويَّة الَّتي ساعدتْ مُعارضي الحكمَ الأمويَّ من إسقاطِهم ، وكان الَّذي أحدثَ هذا الصِّراعَ بين رجالِ البيت الأمويِّ ولايةُ العهدِ الَّتي جاءَ بها معاويةُ« ت : ٦٠ هـ » ؛ ليجعلَ الخلافةَ من بعده ليزيدَ« ت : ٦٤ هـ » ابنه ، ولم يكن يزيدُ أهلاً لها وبخاصةٍ في ظلِّ وجود شخصياتٍ قويةٍ في داخلِ البيت الأمويِّ و لا أقولُ في داخلِ البيتِ الإسلاميِّ، ومن هذه الشخصياتِ التَّاريخيَّةِ والَّتي أثبتَتْ بعد ذلك قدرةً وكفاءةً عبدُ الملكِ بنُ مروانَ «ت :٨٦ هـ » ، وكان لِمَا فعلَه معاويةُ دورٌ كبيرٌ في سيرِ الخلفاءِ من بعده على دَربِه ، فعبدُ الملك « ت : ٨٦ هـ » يتولَّى الخلافةَ ويجعلُ ولايةَ العهدِ في أبنائِه ، وكان منهم من هو جديرٌ بمنصب الخلافة كالوليد بن عبد الملك « ت : ٩٦ هـ » ، وسليمان بن عبد الملك « ت : ٩٩ هـ » ، وعمر بن عبد العزيز « ت : ١٠١ هـ » وهشام بن عبد الملك « ت :١٢٥ هـ » ، وكان منهم من لا يصلحُ لها كيزيدَ بنِ عبد الملك « ت : ١٠٥ هـ » ، وابنه الوليدِ بن يزيدَ « ت :١٢٦ هـ » والَّذي قتلَه أبناءُ البيت الأمويِّ بسببِ فسادِه و مجونِه ؛ لكي يتولَّى من بعده الخلافة خلفاء لم يكونوا خيرا منه ، وهذا ما عجل بنهاية الدولة. وقد أشار العبليُّ في شعره إلى هذا الصِّراعُ الَّذي كان بين أفراد الأسرة الأمويَّة ، يقولُ : [٨٦]

« من الكامل »

---

(٨٦) الأغاني : «١١/ ٢٠٨ » . ومجلة الذخائر :«١٨٩» .

لَّما رأيتُ الحربَ تُوقَـدُ بينها ويشُبُّ نارَ وقُودِها إذكاؤهـا
نوَّهْتُ بالملكِ المهيـمنِ دعوةً ورَوَاحُ نفسي في البلاء دُعاؤُها
ليرُدَّ أُلفتَهـا ويجمـعَ أمرَهـا بخيـارها فخيـارُها رحمـاؤها
فأجاب ربِّي في أُميّة دعوتـي وحمى أميّة أن يُهدّ َبناؤُها
وحبا أُميّـة بالخلافة إنَّهم نورُ البلاد وزَينُـها وبهـاؤُها
فنو أميّة خيرُ من وطِئ الثَّرى شرفـاً وأفضـلُ ساسة أمراؤها

فالحربُ الَّتِي أُوقِـدتْ والنَّـارُ الَّتِـي شـبَّت واشـتعلتْ فـي الجسـدِ الأمويِّ هي الَّتِـي أطفئَـتْ الشـمسَ الأمويَّـةَ ، ولقـد كانـتْ هنـاك محاولاتٌ لاحتواءِ الفتنةِ الَّتِي لا تُبْقِي ولا تـذر ، لكنَّهـا مـع غلبـة الهَوى وحُبِّ النَّفس لم يكن يُرجَى منها ثمراً .

٣ ــ انتقام العباسيين من الأمويين :

قامتْ الخلافةُ العبَّاسيةُ في عـام ١٣٢ هـ بعـد هزيمـةِ الجُيُـوشِ العبَّاسيةِ للجيوشِ الأمويَّة ، لكنْ مـاذا فعـلَ العبَّاسـيُّون الهاشـميون بالأمويين ؟ هل كان العفـوُ والصَّـفحُ؟ أم كـان الفتـك ُوالانتقـامُ ؟ يقولُ التَّـاريخُ : « إنَّ العباسـيين َ مضَـوا يفتكـون بـأفراد البيـت الأُمويِّ فتكاً ذريعاً ؛ يريـدون أنْ يستأصِـلُوا الأمـويين مـن الأرضِ استئصالاً حتَّى ليتخذَ ذلك شـكلَ احتفـالاتٍ داميـةٍ ، وكـان أوَّل مـن بدأها عبدُ اللَّه بن عليٍّ «١٤٧ هـ » إذ دعَا فـي أبـي فُطـرُس نحـو ثمانين من الأمويين إلى وليمةٍ ، ولم يكـادُوا يجتمعُـون حتَّـى انبَـرى بعض ُالشُّعراء يحرِّضُونه على الفتـك بهـم ْ ثـأراً لمـن قُتِلـوا مـن العلويين الهاشميين ، فأمرَ بهـم جميعـاً فضُـرِبوا بالعمُـدُ ، وليـت

الأمرَ وقف عند الأحياء ، ولكنَّه أمرَ بنبشِ قُبورِ الأمويين فنُبشتْ ، وحُرِّقَتْ بقايا جُثَثِهم ...»[٨٧] .

ولقد كان العبليُّ شاهداً على هذا الثَّأرِ العبَّاسيِّ وذلك من خلال السِّينيَّة الرَّائعةِ الَّتي نَدَبَ فيها قومَه ، وهي سينيَّةٌ تفيضُ حُزناً وحسرةً عل بني أُميَّة وكذلك وفاءً ؛ وهذا ما يجعلُها رائعةً من روائعِ الأدبِ العربيِّ ، يقولُ واصفاً المذابحَ العبَّاسيةَ للأُمويين [٨٨] :

« من المتقارب »

لفقدِ الْعشيرةِ إذ نالَها ... سهامٌ من الْحدثِ الْمُبْئِسِ[٨٩]

رمتْها الْمنُونُ بلا نُصَّلٍ ... ولا طَائِشَاتٍ ولا نُكَّسِ[٩٠]

---

(٨٧) العصر العباسي الأول : د/ شوقي ضيف ، « ط : ١٦ » ، دار المعارف ، « ١٤» .

(٨٨) كتاب الأغاني : « ١١ / ٢٠١ » .

(٨٩) معاني المفردات :

المُبْئِسِ : الحدث المبئسِ : الشديد ، الذي يؤدي إلى الفقر . ينظر اللسان : «٦ / ٢٠» .

تخريج البيت :

جاءت الكلمة الأخيرة من الشطر الثاني في كتاب التعازي والمراثي « ص :٨ ٩» : الموئسِ ، وكلا الروايتين يستقيم بها المعنى ، ومع ذلك فإنَّ كلمةَ المُوئِس دقيقة في مكانها وأقوي ؛ لأنها تصف الأثر المعنوي لفقد العشيرة ، بينما تدلُّ الكلمةُ الأخرى على الأثر الحسيِّ .

بأَسْهُمِها الخالساتِ النُّفُوس متى ما اقتضت مُهْجَةً تَخْلَسِ[٩١]

فصرْعاهمُ في نواحي البلا دِ تُلْقَى بأرضٍ ولم تُرمَسِ[٩٢]

---

(٩٠) معاني المفردات :

النَّصْلُ : حديدةُ السيف إذا لم يكن فيها مقبض . اللسان : «١١ /٦٦٢ » .

طائش : اسم فاعل من طاش السهم يطيش طيشا عن الهدف أي : إذا حاد عنه وعدل . ينظر اللسان : «٦ / ٣١٢ » . النُّكس من السهام : الضعيف . ينظر اللسان :«٦/ ٢٤٢» .

تخريج البيت :

جاءت كلمة بلا نُصَّلِ في نهاية الشطر الأول : بلا نُكَّلِ (من غير جبن ونكوص) في كتاب الأغاني : «٤ / ٢٣٨ »، وكلمة نكل أبلغ في دلالتها ، لأنها تدلُّ على قوة المنون ، وأنها لا ترهب أحداً .

(٩١) معاني المفردات :

الخالساتُ : مفردها : الخالسة ، وهي من السِّهام الَّذِي يصيبُ على غفلةٍ . اللسان : «٦ / ٦»

تخريج البيت :

جاء الشطر الثاني «متى ما اقتضت مهجة تخلسِ » في كتاب الأغاني « ٤ / ٢٣٨» «متى ما تُصِبْ مهجةً تخلسِ » ، والروايتان مستقيمتان في الوزن ، ولكن الرواية الأولى فيها إيمان وتسليم بقضاء الله وأنَّ ما حدث مقدر في كتاب لايضل ولا ينسى .

(٩٢) معاني المفردات :

لم تُرمَس : لم تدفن في قبر تحت الأرض . ينظر اللسان : « ٣٢/٦ » .

تخريج البيت :

جاءت الكلمة الأولى من الشطر الأول «فصرعاهم » في كتاب الأغاني : « ٤ / ٢٣٨ » فصَّرعْنَهُم ، والوزن مستقيم في الروايتين ، لكن الرواية

كريمٌ أُصيبَ وأثـــوابُه من العْـــار والذَّامِ لم تَدْنَسِ[٩٣]

وآخرُ قد طـــار خوفَ الرَّدى وكان الهُمَامَ فلم يُحْسَسِ[٩٤]

الثانية تعطى إيحاءات لا تفهم من الروايـة الأولـى ، فكلمـة فصـرَّعْنَهُم تدل على الفاعل وقسوته فـي فعلـه كمـا أنهـا تُشـير إلـى كثـرة مـن صُرِعُوا من الأمويين . وجاءت كلمـة تُلقـى فـي الشَّـطر الثـاني فـي كتـاب التَّعـازي والمَراثـي « ٩٨ » « مُلْقـى» ، كمـا جـاءت كلمـة « تُرمس » في المصدر السابق « ولم تُرسَـسِ » ، والـوزن مسـتقيم فـي الحالتين .

(٩٣) تخريج البيت :

جاءت كلمةُ كريمٍ في كتابِ الأغانيِّ « ٤ / ٢٣٨ » تقـيٌّ وهـي أعـمُّ مـن كلمة كريم في الدِّلالةِ نبل الأمـويين ، وجـاء الشَّـطرُ الثَّـاني فـي كتـاب الأغاني «٤ / ٢٣٨» «مـن العيـب والعـار لـم تُـدْنَسِ » وهـو أيضـا مستقيم في وزنه ومعناه ، وقد جاءت نفس الروايـة للشـطر الثـاني فـي كتاب التعازي والمراثي بلا تغيير .

(٩٤) الهُمامُ الَّذي طار عبدُ الرَّحمن بنُ معاويةَ بن هشامٍ بـن عبـد الملـك بـن مروانَ والذي لقِّبَ بعبد الرَّحمنِ الدَّاخلِ ،فـرَّ مـن الجيـوشِ العبَّاسـيةِ ، وتمكَّن بمساعدةِ أخواله والأمويين الموالين لبني أميَّة فـي الأنـدلسِ مـن هزيمةِ والي العبَّاسيين ودخولِ قُرطُبةَ ، وبهـذا اسـتطاعَ أن يُعيـدَ الحكـم الأمويَّ مرَّة أُخرَى ولكنْ فـي بـلاد الأنـدلس ، ولمَّـا طـار الخبـرُ إلـى الخليفةِ المنصورِ أُعجبَ به ، بل ولقَّبَهُ بصَقرِ قُريشٍ ، وكانـت وفاتُـه فـي سنة ١٧٢ هـ . ينظرُ الأعلامُ : «٣ / ٣٣٨ » .

تخريج البيت :

جاء هذا البيت في كتاب « التعازي والمراثي :٩٨ » على هذا النحو :

فكَمْ غَادَرُوا منْ بَواكِي العُيو نِ مَرضَى ومن صِبيَة بُؤسِ[٩٥]

إذَا ما ذَكَرنَهُمْ لم تَنَمْ لحرِّ الْهُمومِ ولم تَجْلِسِ[٩٦]

« من المتقارب »

وآخر قد دُسَّ في حُفرةٍ وآخرُ طارَ فلمْ يُحْسسِ

وهذا البيت في هذه الرواية مستقيم في الوزن ، كما أنه يقدِّم إضافة في المعنى وتبدو هذه الإضافةُ في قوله « دُسَّ في حُفرة » فهي توحي بالقسوة في الدسِّ .

(٩٥) معاني المفردات :

البواكي مفردها : باكي ، وقد وصفت العيون وهي مؤنثة بالمذكر ؛ على إرادة العضو ، والباكي : الذي يكون مع حزنه دموع . اللسان : « ١٤ / ٨٢» . صِبية : مفردها صبيٌّ : والصَّبيُّ من لدُن أن يولد إلى أن يفطم . اللسان : « ١٤ /٤٥٠ » . والصِّبية البُؤسُ : الذين أصابتهم شدَّة بسبب الفقر . ينظر اللسان :« ٦ /٢٠» .

تخريج البيت :

جاء هذا البيت في كتاب «التعازي والمراثي : ٩٨ » على هذا النحو :

« من المتقارب »

فكَمْ من كَوابِ بَواكي العُيو ن حُزناً ومن صبيةٍ بُؤَّسِ

والبيت مستقيم في الروايتين ، وتزيدُ هذه الرِّواية فِي ذكرِها ألفاظاً تصوَّرُ الحُزنَ الَّذِي عاشه كثيرون من البيتِ الأمويِّ ، ويظهرُ ذلك في قولِه :« كوابٍ ، حزنا » ، كما أنَّ دلالة حُزنا أقوى من دلالة مرضى .

(٩٦) معاني المفردات :

حرُّ الهموم : شدَّة الهمومِ . ينظر اللسان : «٤ / ١٧٨ » . الهمـوم : الأحـزان . ينظر اللسان " ٤ / ٦١٨ » .

تخريج البيت :

جاء الشطر الثاني من هذا البيت في كتاب التعازي والمراثي «٩٨» على هذا النحو :

« من المتقارب »

إذا مـــــــــــــا ذكرنـــــــــــــــــــهُم

صِباحُ الوجـــــــــــــــــــــوهِ ولم تجلسِ

وهذا البيت مكسور ؛ لأن هذا البيت جاءت تفاعيله على هذا الشكل :

فعولـ ـن فعولـ ـــن فعُلْ فعولن فعولـ ـــن

فعُـــــــــولن فعُلْ

ولم يعرف في بحر المتقـارب أ ن تـأتي عروضـه مجـزوَة ويـأتي الضـرب تاما ، ولكن يستقيم البيت لو قلنا :

« من المتقارب »

إذا ما ذكـــــــــــــــــــرنهـــــــــــــــمُ ْ فهُمُ

صبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاحُ الوجوه

ولم تَجْلِسِ

(٩٧) معاني المفردات :

التَّرجيعُ : ترديد الصوت في قـراءة أو آذان أو غنـاء أو زمـر أو بكـاء كما هنـا . ينظـر اللسـان : « ٨ / ١١٥» . الحمـام : جمـع حمامـه، والحمامة طائر ، تقول العرب : الحمـام للـذكر والأنثـى ،وهـو طـائر لا يـألف البيـوت بخـلاف اليمـام . اللسـان : «١٢ / ١٥٨ » . المـأتمُ : وهو كل مجتمع للرجال أو النساء في فـرح أو حـزن ، ولكنـه غلـب فـي الحزن . اللسان : «١٢ / ٣». القلقُ : أن لا يسـتقرُّ الإنسـانُ فـي مكـان لأمرٍ ما ، وفي حديث الإمام عليٍّ « أقلقوا السُّيوفَ في الغِمدِ .

فَذاك الَّذي غالني فاعلمي ولا تسأليني فتسْتَنْجِسي[٩٨]

وأشْيَاء قدْ ضِفنَني بالبلادِ ولَسْتُ لهنَّ بمُستحْلِسِ[٩٩]

---

(٩٨) معاني المفردات :

غالني : قتلني وأنا لا أعلم . ينظر : اللسان : « ١١ / ٥١٢ » . النَّحْسُ : الجُهد والضُّرُّ والشُّؤمُ ، والنَّحسُ خلاف السَّعد، والجمع : أنحُسٌ ، ونحوسُ . ينظر اللسان : «٦ / ٢٢٧ » .

تخريج البيت : =

= جاء هذا البيت في كتاب التعازي والمراثي «٩٨ » على هذا النحو :

« من المتقارب »

وذاك الّذي غالنـــــــــي فاصمـــــــتي

ولا تسأليني وتستنـــــــــــــحسِ

كما جاء هذا البيت برواية أخرى في كتاب الحماسة البصرية : « ٢ / ٧٤٦ ، ٧٤٦ » على هذا النحو :

« المتقارب »

فذاك الذي غالنـــــــــــــــــــــــــي فاعلمي

ولا تسألي بامـــــــــــــــرئ مُتْعِـــــــــــــــــــسِ

ورواية الأغاني وهي الرواية الأولى تناسب المقام ، إذ كيف يقول لابنته اصمتي مع أنها حزينة مثله .

(٩٩) معاني المفردات :

ضفتُ الرجل : جئت به إلى بيتي وقدَّمت له واجب الضِّيافة . اللسان: «٩ / ٢٠٧ » . الحِلْسُ : كل شيء ولى ظهر البعير . اللسان : «٦ / ٥٤ » .

تخريج البيت :

جاء شطر البيت الأول في كتاب التعازي والمراثي «٩٨ » على هذا النحو :

« من المتقارب »

وفي ذاك أشيـــــــــــاءُ قد ضفنني

أفاضَ المدامعَ قَتلى كُدى وقَتْلى بكُثوة لم تُرمَسِ[100]

وقتْلى بـــوجٍّ وباللابتي نِ منْ يثْرِبٍ خَيرَ ما أنْفُسِ[101]
وبالزَّابينِ نُفُوسٌ ثوتْ وقَتْلى بنهـر أبي فُطـــرُسِ[102]

ولستُ لهُنَّ بمُستحْلِـــــــــــسِ

(١٠٠) معاني المفردات :

كُدَى : مكان بالقرب من مكة ، وفيه قتل بعضُ بني أمية . ينظر : معجم البلدان لياقوت الحمويِّ ، دار صادر، «١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧م » ،« ٤ / ٤٤١ ».

وكُثوة : مكان بالقرب من مكة ، وتروى : بكَبوة . ينظر : معجم البلدان « ٤ / ٤٣٧ » .

تخريج البيت :

وقد روي هذا البيت في كتاب التذكرة الحمدونية «٧ / ٣٧٦» على هذا النحو :

أفاض المدامعَ قتلى كـــــــــــــــــذا
وقَتلَى بكَبوةَ لم تُرمَـــــــــــــسِ

والبيت مستقيم في الروايتين .

(١٠١) معاني المفردات:

وجٍّ : مكان بالطائف ، أو هي اسم من أسماء الطائف . ينظر : معجم البلدان : « ٥ / ٣٦١ ». اللَّابتان : تثنية لابة ، وهي الحرَّة ، وجمعها لاب . معجم البلدان : «٥ / ٣ » .

(١٠٢) بالزَّابيين : نهران بالعراق ، الأوَّل يقال الزاب الأصغر ، والثاني يقال له الزَّابُ الأكبر . ينظر : معجم البلدان : « ٣ / ١٢٣ ». أبو فُطرُس : موضع قرب من الرَّمْلَة من أرض فلسطين . ينظر : معجم

أولئك قومٌ تداعتْ بهمْ نوائبُ من زمنٍ مُتْعِـــــسِ[١٠٣]

والأبيات السَّابقة تصفُ ما حدث للأمويين على أيدي العبَّاسيين وصفاً دقيقا وحيًّا ، لا مجال فيه للشك ، فليس ما يقال عن الانتقام العباسيِّ من الأمويين خيالاً وأحلاماً أو أساطيرَ ، ولكنَّه كان حقيقةً مُرَّة سجَّلها التَّاريخُ ، وهاهو العَبْلِيُّ بشعرِه الوثائقيِّ ينقلُ لنا ماحدثَ وكأنَّنا نراه ، فقد تمكَّنَتْ الجيوشُ العبَّاسيةُ الزَّاحفةُ من بلاد خُراسانَ وهي جيوشٌ جرارةٌ وكثيرةٌ كان بها من العَدَد والعُدد ما مكَّنها من إسقاطِ دولةٍ كانتْ في يومٍ من الأيَّامِ من الدِّول الكبارِ ، وهذا ما قاله أحمد شلبي في كتابه موسوعةِ التَّاريخِ الإسلاميِّ والحضارةِ الإسلاميِّةِ ، يقولُ : « وإذا تركنا الملوكَ الضِّعافَ من الأمويين الَّذين لابدَّ من ظُهُورِهم في أيِّ عصرٍ وفي كلِّ دولةٍ ، فإنَّنا نرفعُ أسماءَ الأمويين إلى أسمى طبقة بين ساسة العالم كله في مختلف عصوره ، ونضع دون تردد أسماء معاويةَ وعبدِ الملك والوليدِ بن عبد الملك وعمرَ بن عبدِ العزيز ....» ، العَبْلِيُّ يصفُ لنا قوَّة الجُيُوش

البلدان : « ٥ / ٣١٤ » .

(١٠٣) جاء هذا البيت في كتاب التعازي والمراثي « ٩٨ » في هذه الصورة :

« من المتقارب »

أولئك قومٌ أذاعتْ بهمْ
حوادثُ منْ زمنٍ
مُتْعِسِ

العبَّاسية وتظهرُ هذه القُوَّة في قوله : « رمتهـا المنُـون بـلا نُصَّـلٍ ولا طائشـات ولا نُكَّـس » ، ويقـولُ أيضـا «أسـهمها الخالسـات النفوس » ، ««ثم يَـذكُر العَبْلـيُّ مـاذا فعلـت الجيـوشُ العبَّاسـيةُ بالأمويين بعد هزيمتهم ، فيقـولُ : « فصـرعاهم فـي نـواحي الـبلاد ،تلقَّى بأرض ولم تُرمسِ » ، ويقول أيضـا :« كـريم أصـيب وأثوابـه من العار والذَّامِّ لم تدنَّس » ، ولا ينسـى أن يـذكر لنـا تـأثير هـذا الحدث الجلل على من بقي حيًّا من بني أمية ، فيقول(١٠٤):

« من المتقارب "

فكم غادروا من بواكي العيو ... نِ مرضى ومن صِبية بُؤسِ
إذا ما ذكرنهم لم تنم ... لحرِّ الْهُمـومِ ولم تجلـسِ
يُرجِّعْنَ مثلَ بُكاء الحمـا ... مِ في مأتمٍ قلـقِ المجلسِ
فذاك الَّذي غالني فاعلمي ... ولا تسالينـي فتَسْتنْجِسي

كما أنَّه يذكر أن الأمويين قُتِلوا في كل مكـان ، قُتِلـوا فـي مكَّـة ، وفي المدينة ، و في العراقِ ، وفي فلسطين وفي خراسانَ.

٤ ــ أسباب غضبه للأمويين :

لقد بكى العبليُّ قومه لما كان لهم مـن أخـلاق ، ولقـد اعتـرفَ لهـم بهذه الأخـلاق أعـداؤُهم مـن العلـويين ، فقـد سـمع العلويـون شعَره في قومِه ، فما كان من كبـار العلـويين إلا أن أشـادوا ببنـي أميَّة وبأخلاقهم ، يقول الـنفس الزكيـة « ١٤٥ هـ » بعـد بكائـه

(١٠٤) الأغاني : « ١١ / ٢٠١ » .

من شعر العبليِّ في بني أميَّة « ولقد كان للقوم أخلاقٌ ومكارمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر المنصور « ١٥٨ هـ » ، بل لقد أعطى النَّفسَ الزَّكية أموالا ....[١٠٥].».

ومن شعر العبليِّ الذي يذكر فيه هذه الأخلاق والمكارم والفواضل التي أشار إليها النفس الزكية ، يقول [١٠٦] :

« من الكامل »

ماذا أؤملُ إن أميَّةَ ودَّعَتْ ... وبقاءُ سُكَّانِ البلادِ بقاؤُها

أهلُ الرِّياسةِ والسِّياسيةِ والنَّدى ... وأُسودُ حربٍ لا يخيمُ لقاؤُها[١٠٧]

غيثُ البلادِ وهمْ أمراؤُها ... سُرُجٌ يُضِيءُ دُجَى الظَّلامِ ضياؤُها

فلئن أُميَّةُ ودَّعتْ وتتابعت ... لغوايةٍ حمِيَتْ لها خلفاؤُها

ليُودِّعَنَّ من البريَّةِ عزُّها ... ومن البلادِ جمالُهَا ورجاؤُها

ومن البليَّةِ أنْ بقيتَ خِلافَهُمْ ... فرداً تَهِيجُك دورُهُم وخلاؤُها

لهفي على حرب العشيرةِ بينها ... هلَّا نهى جُهَّالهَا حُلَماؤُها

هلّا نُهى تنهَى الغويَّ عن التي ... يُخْشَى على سُلطانِها غوغاؤُها

وتُقى وأحْلامٌ لها مُضَريَّةٌ ... فيها إذا تَدمَى الكُلُومُ دواؤُها

العبليُّ يُقدِّمُ إجابة لمنْ قال أو يقول : لماذا كلُّ هذا الأسى والشجى والشجن على بني أمية ؟ فكانت هذه الإجابةُ الكاشفة

---

(١٠٥) الأغاني : " ١١ / ٢٠٢ " .

(١٠٦) الأغاني : « ١١ / ٢٠٧ » .

(١٠٧) خاموا في الحرب : لم يظفروا بخير وضعفوا . اللسان : «١٢ / ١٩٤ » .

ُالصَّادقةُ الَّتي ذابَ الحُزنُ فيها وسَرى خلالها ، وهو في هذه الإجابة يذكرُ الأخلاقَ والمكارمَ والفواضل الَّتي كانت روحا يَسرِي في بني أميَّة ، فلقد كانوا أهل الرِّياسةِ ، والسِّياسةِ والندى ، كما كانوا أسودَ حربٍ يُخشى لقاؤُها ، وهم كذلك غيثُ للبلادِ بكرمِهم وسخائِهم .ويستكملُ العَبْليُّ الحديث عن أخلاقِهم الَّتي كانت سبباً من أسبابِ رثائه لهم ، فيقول(١٠٨) :

« من المتقارب »

أولئك قومٌ تداعتْ بهم ... نوائبُ من زمنٍ مُتْعِسِ

إذا ركبُوا زيَّنُوا الموكبينِ ... وإن جلَسوا الزَّينَ في المجلسِ

أذلتُ قِيادي لمنْ رامني ... وألزقْتُ رغمي بالمِعطَسِ

فما أنْسَ لا أنْسَ قتلاهُم ... ولا عاشَ بعدهُم من نَسَى

هذا ما كان عن رثاءِ العَبْلي لقومِه بني أميّة ، و هو رثاءٌ صادقٌ حارٌّ ينمُّ عن حُبٍّ عميقٍ لهمْ ووفاءٍ لتاريخِهم و حضارتِهم الزَّاهرةِ النَّاضرةِ الَّتي ما زالتْ إلى الآن مصدرَ إلهامٍ لحضارتِنا الَّتي تحاولُ أن تنهضَ من جديد لتحقيقَ أحلاماً وأمانيَّ طال انتظارُها ، ويتجلَّى ذلك الحلمُ في حضارةٍ تُحقِّقُ الأمن والرَّخاءَ والاطمئنانَ والحريَّة والعدالةَ والمساواةَ والكرامة الإنْسَانيَّة .

---

(١٠٨) الأغاني : « ١١ / ٢٠١ » .

المبحث الثاني
مـــــــدح الأمويين

أولا ـ المدح في المفهوم النقديّ :

المدحُ من الأغراض الشِّــعريةِ القديمــةِ ، كــان موجــوداً فــي الشِّعر الجاهليِّ وبقوَّةٍ ، و كانت له في هــذا العصــر غايــاتٌ ، لكنَّــه لم يقف عندها ، فقــد تطــورَ هــذا الشِّــعرُ فيمــا بعــد فــي غاياتِــه وبخاصةٍ في العصر العباسيِّ ، فقد كانت غايــةُ الشِّــعرِ الَّتِــي رافقَتْــه

منذُ نشأتِه إبرازَ المحامد والفضائلِ والتنويهِ بهـا ، ثُـم صـارتْ هـذه الغايةُ نفعيةً في المقامِ الأوَّل . وإذا كانَ شـعرُ المـدحِ فـي عصـوره المُتعاقِبَةِ قدْ تطورَ في غاياتِه فكيفَ كان حالُـه فـي معانيـه وأفكـارِه؟ لقد كانت معاني شعرِ المدحِ راسخة وراسـيةً وملاحِقَـةً لـه فـي كـلِّ الأزمنةِ والأمكنةِ ، ويظهرُ ذلك بوضوحٍ عنـد الوقـوفِ علـى حقيقـةِ المدحِ ومفهومِـه وهـي: « التنويـهُ بفضـائلِ الممـدوح والتَّعريـفِ بمحاسنِ صفاتِه وتعدادِ ما وهَـبَ اللَّـه تعـالَى مـن كمـالاتٍ خُلُقِيَّـة كالشَّجاعةِ والكرمِ والإيثارِ والعفَّة وتحمُّـلِ المكَـارمِ فـي إصـلاحِ ذات البينِ وإحلالِ السَّـلامِ بـين المُتَحـاربين، وخِلْقِيَّـةٍ كالجَمَـالِ وبسـط الجسمِ..[١٠٩]" وهو أيضاً: "تعدادٌ لجميـلِ المَزَايَـا، ووصـفٌ للشَّـمائلِ الكرِيمةَ، وإظهارُ التَّقديرِ العظيمِ الَّـذِي يُكِنُّـهُ الشَّـاعِرُ لمـن تـوافرَتْ فيهم تلك المزايا وعُرِفُوا بمثْلِ هاتيك الشَّمائِل..» [١١٠].

والدكتور/ شوقي ضيف يُفَصِّلُ الخصـالَ والشَّـمائِلَ التَّـي مـدحَ بها الشُّعَرَاءُ عُمُوماً فيقُولُ: "وَقَـد اضـطرَمَتْ هـذه الغايـاتُ للمدحـةِ في العصـرِ العبَّاسـي، إذ نـرى الشُّـعراء يُعِيـدُونَ ويَبْـدَؤُون فـي تَصْوِيرِ المُثُلِ الخُلُقِيَّـةِ تصـويراً حيَّـاً ناطقـاً، ويعـدُو الحصـرَ مـا

([١٠٩]) تـاريخ الأدب العربـي فـي الجاهليـة وصـدر الإسـلام: محمـد حسـن درويـش، ص(١٤٠)، (د. ط)، مكتبـة الكليـات الأزهريـة، (١٣٩١ك – ١٩٧١م).

([١١٠])فن المدح وتطوره فـي الشـعر العربـي: أحمـد أبـو حاقـه، ص(٥)، (ط. الأولى)، (١٩٦٢م).

استنبطُوه من معانٍ طريفة في السَّماحة والكرم والحلمِ والحزمِ والمروءةِ والعفَّة وشرفِ النَّفسِ وعلوِّ الهمَّة والشَّجاعةِ والبأسِ، وقد جسموها في الممدوحين تَجسيماً قويا حتَّى تصبحُ تماثيلَ قائمةً نُصبَ أعيُنِ النَّاس كي يحتذُوها ويحُوزوا لأنفُسِهم مجامعَ الحَمدِ والثَّناء.."[١١١].

ثانيا ـ الغاية من مدح الأمويين :

كان لشُّعراءِ المدحِ غاياتٌ ينظرون إليها عندما يمَدحُون ملكاً أو أميراً أو وزيرا أو ثريَّا من أثرياءِ الدَّولةِ العبَّاسيةِ ـ وقد كانوُا كثيرين ـ وقد تعددت هذه الغاياتُ فهي في أغلبِ الأحوال :« عرفاناً بالجَميلِ، أو طلباً للنَّوالِ، أو رغبةً في الصَّفحِ والمغفرةِ أو أملاً في تحقيقِ هدفٍ كبيرٍ.. وقد يكون المدحُ بسبب الإعجاب.."[١١٢].

لكنْ ماذا كان يريد العَبْليُّ من الأمويين ؟ هل كان يمدحُهُم لأنَّهم قومُه أم كان يمدحُهم لأنَّهم الخلفاءُ الَّذين كانوا يحكُمُون الدَّولة الإسلاميَّةَ ؟ أم كانَ يمدحُهُمْ لأنَّهُمْ أهلُه وعشيرتُهُ ، لكنَّهُ أيضا كانَ يرجُو منْهم ماكان يرجُوه الشُّعراء ؟ وفي ظنِّي أنَّ العَبْليَّ كان يمدحُ بني أميَّة أولاً للقرابَة القويَّةَ الَّتي تَجْري في

---

(١١١) العصر العباسي الأول: د. شوقي ضيف، ص (١٦٠)، ط. دار المعارف، فن الشعر لأرسطوطاليس: ترجمه وشرحه عبد الرحمن بدوى، ص (٢١٩)، (د. ط)، ط. دار الثقافة ببيروت.

(١١٢) المدح في الشعر الجاهلي: ص (١١، ١٤). ط القاهرة.

دمائِهمِ ْ ، لكنَّه أيضا كان يرجُو منهُمْ النَّـوال والعطـاءَ ، فهُـو شـاعرٌ وهذه هي طبيعةُ الشُّعراءِ ولاسيَّما في العصـر العبَّاسـيِّ ، وقـد رأينَـا كيفَ كان غضبَه من بني أميَّةَ .

عندما أعطُوه عطاءً لـم يَـرضَ عنـه ، بـل دفعَـه ذلـك إلـى هجائِهِمْ ، وهـذا مـا جعـلَ كثيـرٌ مـنْ مـؤرخي الأدب فـي القَـديم والحديثِ يظنُّون من ذلك أنَّ العَبْلِيَّ كـان علـى خـلاف مـع قَومِـه ، ومن هُنَا كان الحُكمُ على الشَّاعرُ أنَّـه كـانَ يميـل إلـى بنـي هاشـمٍ ويذُمُّ بني أميَّة ، وما أحدثَ كلَّ هذه الضَّـجةِ البيتـان اللَّـذانِ قالَهُمـا في هجاءِ بني أميَّة ، وهُما [١١٣] :

" من الخفيف "

خَسَّ حظِّـي أنْ كُنتُ مِنْ عبدشمسِ	ليَتَنِي كُنـتُ من بني مَخزُومِ
فأَفـوزَ الغـداةَ منهـمْ بسهْمٍ	وأبيـعَ الأب الشَّـريفَ بلُـومِ

وقد دفعنا كل ما قِيلَ في هذا الأمـر فيمـا سـبق َ ، وممَّـا يُؤكِّـدُ مـا قلناه إنَّ العبليَّ كان سريعَ الهجاءِ لكـلِّ مـن ْطمِـع َفـي كرمِـه ولـم يُشبِعْ رغبتَـه ، فوجـدناه يهجُـو الشَّـاعرَ العَرْجِـيِّ« ت :١٢٠هـ »[١١٤]

([١١٣]) كتاب الأغاني : « ١١ / ١٩٨ » .

([١١٤]) عبد ُاللَّهُ بنُ عمرَ بـنِ عمـرَ بـن عثمـانَ بـنِ عفَّـان ، لقِّـب بـالعَرْجِي ؛ لأنه كان يسـكن عَـرج َالطَّـائف ، وقـدْ غـزا فـي سـبيلِ اللَّـه مـع مَسْلَمة بـن عبـد الملـكِ ، وأبلَـى بـلاءً حسـناً ، كمـا أنَّـه كـان مـن

ولكنْ ممَّا يُذكرُ للعَبْليِّ أنَّه لم يكُن ينتظر نُوالا أو عطاءً من بني هاشمٍ ، ومع ذلك كانوا يعطونه كُلَّما ذَهَبَ إليهِمْ ؛ لأجل مواقفِه معَهُم ، وهذا ما كان يفعلُه معه عبدُ اللَّه بنُ الحسنِ بنِ الحسنِ بن عليٍّ بن أبي طالبٍ « ت : ١٤٥هـ» ، فقد ذهب إليه العبليُّ « فخرجَ إليه عبدُ اللَّه ، فلمَّا رآه قال أعلمُ أبا محمدٍ ، فأمرَ له عبدُ اللَّه بأربعمائةِ دينارٍ ، وابناه بأربعمائة دينارٍ ، وزوجتُه بمائتي دينارٍ ، فخرج من عندهم بألف دينار ... »[١١٥] .

وإذا كان العَبْليُّ يقبَلُ عطاءَ بني هاشمٍ ، فإنَّ الكُمَيتَ «ت : ١٢٦ هـ » كان لا يقبلُ هذا العطاءَ من بْني هاشمٍ ؛ لأنَّه كان يُحبُّهُم ويمدحُهم للَّه .

٣ ــ المعاني التي جاءت في مدح العبليِّ للأمويين :

المعاني المدحيةُ الَّتي جاءتْ في شعرِ العَبْليِّ كانتْ تسيرُ في نفسِ الاتِّجاهِ الَّذي سارتْ فيه هذه المعاني عند الشُّعراءِ سواء أكانُوا عبَّاسيين أم كانوا سابقين للشُّعراءِ العبَّاسيين ، فهي في الغالب «

الأسخياءِ ، فقد أنْفقَ كثيراً من أموالِه في سبيل اللَّهِ ؛ ويبدُو أنَّه كانَ يأمُل أن يصلَ إلى منصبٍ أو إمارةِ جيشٍ أو ولايةٍ على بلدٍ ، وقد مات مسجونا ً في سجنِ والي المدينةِ الَّذي كان خالاً للخليفةِ هشامِ بنِ عبدِ الملك ، وهجاء العَبْليِّ للعَرجِي مذكورٌ في كتاب الأغاني . ينظر : الأعلام : « ٤ / ١٠٩».

(١١٥) الأغاني : « ١١ / ٢٠١ ».

تنويهٌ بفضائلِ الممدوحِ وتعريفٌ بمحاسنِ صفاتِه وتعدادُ ما وهب اللَّهُ تعالى من كمالاتٍ خُلُقيَّةٍ كالشَّجاعةِ والكرمِ والإيثارِ والعفَّةِ وتحمُّلِ المكارمِ في إصلاحِ ذات البينِ وإحلال السَّلام بين المتحاربين، وخِلقِيَّة كالجمالِ وبسط .....» .

ومن المعاني المدحية في شعر العبلي :

أولا ــ المدح بالكرم :

وقد تجلَّى هذا المعنى واضحاً في مدح شاعرِنا العَبْليِّ للأمويين المعاصرين له وبخاصةٍ الخليفةُ هشام بُنُ عبدِ الملك «ت : ١٢٥ هـ » ، كما جاء هذا المعني في مدحِه للعبَّاسيين الهاشميين وبخاصةٍ الخليفةُ السفَّاحُ « ت : ١٣٦ هـ » ، وكان مدحُه للسَّفاحِ لبواعثَ دعتْه إليه ، وقد ذكر هذه البواعثَ أبو الفرج الأصفهانيُّ في كتابِه الأغاني يقول « كان العَبْليُّ مجفُواً في أيَّام بني أميَّة ، وكان منقطعاً إلى بني هاشمٍ ، فلمَّا أفضَت الخلافةُ إليهم ، لم يُبقُوا على أحدٍ من بني أميَّة ، وكان الأمرُ في قتلِهم جدَّاً إلّا من هرب وطار على وجهِه ، فخاف أبوعديٍّ (العَبْليُّ) أن يقعَ به مكروهٌ في تلك الفورةِ فتَوارى ، وفي هذه الأثناء أخذَ العبَّاسيون أهلَه ومالَه ، فلمَّا علمَ العَبْليُّ بذلك أتى السفَّاح " ت : ١٣٦ هـ » ، فدخلَ عليه في غمارِ النَّاس، وجلسَ في حُجرة حتَّى تقوَّضَ القومُ وتفرَّقُوا ، وبقي أبو العبَّاس

السفَّاح مع خاصتهِ ، فوثَب إليه العَبْلِيُّ وقفّ بين يديه ....» . وهذا يؤكِّد ُما ذهبْنَا إليه قبل ذلك من الأمويَّةِ الخالصة للعّبْلِيِّ ،إذ لو كان العَبْلِيُّ خالصا ًللهاشميَّة ما فعلَ به وبأهله العبَّاسيون هذه الأفاعيلُ ، فرجل ٌيهرُب ويختفِي عن العُيون حتَّى تهدأ َالأمورَ ، وفي نفسِ الوقتِ يُؤخذُ أهلُه ومالُه وولُده ، وعندما يعلمُ العَبْلِيُّ بذلك يذهبُ إلى الخليفة ِالسَّفاح ِفي خفاء ٍ ، لماذا إذا الخفاءُ ؟ وكيف لرجلٍ مثلِ العَبْلِيِّ أن يدخلَ في غِمارِ النَّاسِ ؟ ولماذا لم يدخلْ العَبْلِيُّ فوراً عندما وصلَ إلى الخليفةِ ؟ أعتقدُ أنَّ كلَّ ما حدثَ للعَبْلِيِّ كان بسبب حُبِّه الشديد لقومه وميله السَّديد لبني هاشمٍ من العلويين ، فلم يكُن ْالعَبْلِيُّ يحبُّ بني العبَّاس بعد اغتصابِهم الخلافةَ من العلويين الهاشميين . وفي النهايةِ دخل العَبْلِيُّ على السَّفَّاحِ ومدحَه بالكرمِ ، والكرمُ ليس غريباً عن الأسرةِ الهاشميةِ ، فهمْ كرماءُ أسخياء ُ ، والتَّاريخُ يشهدُ لهم بذلك ، وما لقِّب جدُّهُم عمرو بهاشم إلَّا لكرمه ، ولقد كان السَّفّاح كريماً كأهل بيتِه ، ومما قاله العَبْلِيُّ في مدح السَّفَّاحِ[١١٦] :

« من الوافر»

ألا قُلْ للمنـازلِ بالسِّتارِ	سُقيتِ الغيثَ من دمَنٍ قِفَارِ

ثم يقول منها أيضا [١١٧]:

([١١٦]) الأغاني : «١١ / ٢٠٠» .

([١١٧]) السابق : « ١١ / ٢٠٠» .

تؤمُّ المعشَـرَ الأبـــرارَ تبغِي	فكاكاً للنِّســـاءِ من الإســـارِ

وإذا كان هذا هو الكرمُ الهاشـميُّ فهنـاك كـرم أمـويٌّ ، وقـد أشاد الشُّعراءُ بهذا الكـرم كثيـراً ومصـادرُ الأدبِ القديمـةِ ودواويـنُ الشُّعراء تفيضُ بالشِّعرِ الَّذي يتحدَّثُ عـن كـرمِ الأُمـويين ، والشَّـاعرُ العَبْليُّ شاعرٌ من هؤلاءِ الشُّعراءِ ، فقد أشـادَ العَبْلـيُّ بكـرمِ الأُمـويين حتَّى بعد سقوطِ دولـتِهم ، رأينـاه يمجِّـدُ مـن هـذا الخلـقِ النَّبيـلِ عندهم ، يقولُ[١١٨] :

« من الكامل »

ماذا أُؤمِـلُ إنْ أُميّـــــةَ ودَّعَتْ	وبقاءُ سُكَّانِ البـلادِ بُكاؤُهـا
أَهلُ الرِّياسةِ والسَّياسةِ والنَّـدي	واُسودُ حربٍ لا يخِيـمُ بقاؤُهـا
غيثُ البـــلادِ وهم أمـراؤُهـا	سُرُجٌ يُضِيء دُجَى الظَّلامِ ضياؤُهـا
فلئنْ أُميَّةُ ودَّعَـتْ وتتابعَـتْ	لغوايـةٍ حَمِيَـتْ لها خلفاؤُهـا
ليُودِّعَنَّ من البريَّـةِ عزُّهـا	ومن البـلادِ جمالهُـا ورجاؤهـا

كما رأيناه يُعْلِي من شأن الكرمِ عند الأمويين في حياتهم ، ومن هذا القبيل ما جاء في مدحه للخليفةِ هشامِ بنِ عبد الملك « ١٢٥ هـ »

---

(١١٨) السابق : « ١١ /٢٠٧ » .

، والَّذِي يقولُ فيه[١١٩] :

« من الخفيف »

وهشـــاماً خليفـــةَ اللَّـــــهِ فاعمـــدْ واصرمنْ مـــرَّةَ القـــويِّ الجليـــدِ[١٢٠]

تلْقَهُ محكـــمَ القُـــــوَى أريحيًّـــا ذا قِـــرى عاجلٍ وسَيبٍ عتيـــدِ[١٢١]

([١١٩]) الأغاني :« ١١ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ » .

([١٢٠]) معاني المفردات :

العمدُ : ضد الخطإِ في القتل وسائر الجنايات ، ويقصدُ بهـا هنـا فـي البيـت : التوجهُ إلى الممدوح وهو الخليفةُ هشامُ بنُ عبد الملـك . ينظـر اللسـان : " ٣ / ٣٠٢ " . = المرة : قوة الخَلْقِ وشدَّتُه ، وتجمـع علـى مِـرر، وأمـا جمع الجمـع فهـو : أمـرار . ينظـر اللسـان : " ٥ / ١٦٨ " . الجليـد : تعني : القويّ والشديد والصّلب . اللسان : " ٣ / ١٢٥" .

تخريج البيت :

والبيت مستقيم في الوزن ، ولكن المعنـي غيـر مسـتقيم ؛ لأنـه فـي الشـطر الأول يدعو الباحثين عن المال إلى التوجـه إلـى الخليفـة ، وفـي الشـطر الثاني يدعو إلى البعد عن القويِّ الجليد ، والمعنى يسـتقيم لـو قلنـا فـي الشطر الثاني واصرمنْ إلى القويِّ الجليد ،وهناك معنـى يفهـم منـه الـذم في الشطر الثاني دلت على هذا المعنى الألفاظ التـي جـاءت فيـه ، ومـن هذه الألفاظ " مرة ، القوىّ ، الجليـد " فهـذه الألفـاظ قـد يفهـم منهـا أن الخليفة بخيل ، وهو معنى يمكن احتماله و قـد يكـون هـذا المعنـى هـو الذي جعل هشاما لايعطيه ما كان يحلم من مال .

([١٢١])الأريحيُّ : الواسعُ الخُلُقَ المنبسطَ إلى المعـروف ، والعـرب تحمـل كثيـرا من النَّعت على أفعليٍّ ، فيقولـون : أحمـريَّ ، ويقـال : أخذتـه أريحيَّـةٌ :

ملكـــــاً يشمــلُ الرَّعيَّـــة منـهُ	بأيادٍ ليسـت بذاتِ خُمُـــودِ[١٢٢]
أخضــرُ الرَّبـــعِ والجنــابُ خصيــبُ	أفيــحُ المُستراد للمستزيــدِ[١٢٣]
ذكـــــرتْ ناقتي البِّطــاحَ فحنَّتْ	حين أنْ ورَّكَتْ قبــورَ ثمــودِ[١٢٤]

أي خفَّةٌ وهشَّةٌ . ينظر اللســان : " ٢ / ٤٦٢ " . السَّـيبُ العتيــدُ : يقصــد بها : العطاء الحاضر دائما . اللسان : " ٣ / ٢٧٩ " .

(١٢٢) الخُمود : السكون والتوقف وعدم الحركة ، يقــال : خمــدتْ النَّــار تخمُــد خموداً سكن لهبُها ولم يطفأ جمرُها . ويقال قــوم خامــدون لا تســمع لهــم حسَّاً . اللسان : " ٣ / ١٦٥ " .

(١٢٣) معاني المفردات :

المستراد الأمر الذي تريده ، المستريد : الــذي يريــد هــذا الأمــر . اللســان : " ٣ / ١٩١ " . الفــوحُ والفــيحُ : الرائحــة الطيبــة التــي تنتشــر كرائحــة المســك . اللســان : " ٢ / ٥٥٠ " . الجنــاب : الناحيــة ، وجنــاب القوم ما حولهم . اللسان : " ١ / ٢٧٩ " . =

= تخريج البيت :

جاء هذا البيت في مجلة الذخائر اللبنانية " ١٩٢ " على هذا النحو :

" من الخفيف "

أخضرُ الرَّبعِ والجناب خصيبٌ

أقبحُ المستزاد للمستزيدِ

وهو أيضا مستقيم في الوزن ، لكنه سيقلب المعنى من المدح إلى الذَّمِ .

(١٢٤) معاني المفردات :

ثمود : قبيلة من العرب ، يصرف ولا يصرف ،يقال إنهم من بقية عاد الأولى ، وهم

قلـــــتُ بعضَ الحنينِ يا ناقُ سيري	نـحو برقٍ دعـــا لغيثٍ عميدِ[١٢٥]
فاغنـــــتْ في السَّيرِ حتَّى أتتكم	وهيْ قـــوداءُ في سواهـمَ قُودِ[١٢٦]
قدْ بـــرها السُّـــــرى إليكمْ وسيري	تحـت حرِّ الظَّهيـرةِ الصَّيخُودِ[١٢٧]

قوم صالح . اللسان : " ٣ / ١٠٥ " . وركَتْ الدَّابة قبور ثمود : أي مرَّت عليها . والتَّورك على الدابة يكون بثني الرجل عليها ووضع إحدى رجليه في السِّرجِ . ينظر اللسان : " ١٠ / ٥١١ " .

تخريج البيت :

جاءت الكلمة الأولى من الشطر الثاني في مجلة الذخائر اللبنانية " ١٩٢ " على هذا النحو :

" من الخفيف "

ذكرت ناقتي البطاح فحنَّتْ

حينما وركَتْ قبور ثمودِ

والوزن مستقيم في الروايتان .

(١٢٥) الغيث العميد : الغيث المحمود والمرغوب فيه ، والمقصود به : عطاء الممدوح وكرمه اللسان " ٣ / ٣٠٤ " .

(١٢٦) القودُ : نقيض السَّوق ، القود: سوق الناقة من الأمام ، والسوق : يكون من الخلف . اللسان : " ٣ / ٣٧٠ " .

(١٢٧) الصَّيخُود : الصخرة العظيمة التي يشتد حرُّها . اللسان : " ٣ / ٣٤٥ " .

وطوى طائد العرائكَ منها	غَولُ بيدٍ تجتابُها بعد بيدِ[١٢٨]
وأتتكمْ حُدْبَ الظُّهورِ وكانتْ	مُسْنَمَاتٍ ممرُّها بالكديدِ[١٢٩]
واطمأنَّتْ أرضُ الرَّصافةِ بالخصـ	ـبِ ولمْ تُلْقِ رحلها بالصَّعيدِ[١٣٠]
نزلتْ بامرئٍ يرى الحمدَ غُنماً	باذلٍ متلفٍ مُفيدٍ مُعيدِ

العبليُّ يمدحُ هشامَ بنَ عبد الملك الخليفةَ ، ولم يكن هشام خليفةً كعامة الخلفاء، بل كان هشام من كبار الخلفاء ، كان كبيراً بهمَّته وعزائمه ، وهذا ما دعا العَبْليَّ إلى قصده والتَّوجُه إليه ، والشَّاعر في مدحه له يبدأُ باسمه ؛ لما في اسمه من معاني الجُود والكرم ، وكأنَّه أراد أن يُذكِّر بتاريخِ هاشمِ بنِ عبد مناف في الكرم ـ فقد كان هاشم سيِّدَ الكرماء والأسخياء ، وقد لقَّبه

---

(١٢٨) العرائكُ : مفردها عريكة ، وهي سنام البعير الذي أصبح هزيلا من كثرة السير . اللسان : " ١٠ / ٤٦٦ " . الغَول : الشيء المهلك . اللسان : " ١١ /٥٠٦ " . تجتاب : تقطع الصحراء . اللسان : " ١ / ٢٨٤ " .

(١٢٩) الحدب : خروج الظهر ودخول البطن . اللسان : " ١ /٣٠٠ " . الكديد : ما غلظ من الأرض . اللسان : " ٣ / ٣٧٧ "

(١٣٠) الصَّعيد : وجه الأرض ، وقيل : الأرض الطيبة . اللسان: " ٣ / ٢٥٤ " .

العرب بهاشمٍ لكرمه مع أنَّ اسمه عمرو ؛ ولذلك قصده الشَّاعر، ولم يقف الأمرُ عند هذا الحدِّ ، بل إنَّه ينصحُ كل من يبحث عن كرماء أن يذهب إلى هشام ، ذهب الشاعر إلى هشام وكرمه يسيرُ أمامه والرَّغبَةُ في هذا الكرم تحرِّكُه والأمل في هشام أن يتحرك لهذه الرغبة يحدوه ، ومن هنا كان حرص الشاعر على ترغيب هشام أن يكون كريما معه ، لكن كيف السَّبيلُ إلى ذلك ؟ لقد سلك السبيلَ إلى ذلك من خلال طريقين : الأول ــ الإشادةُ بما كان عليه من كرم ، وتتردَّد ألفاظُ الإشادة في الأبياتِ السَّابقة بكثرةٍ ، ومنها : " تلْقَه محكم القُوَى أريحيَّا " ، " ذا قرى عاجلٍ وسيبٍ عتيدِ " ، " أخضر الربع والجناب خصيب " ، " أفيح المستزاد للمستزيد " ، " نزلت بامرئٍ يرى الحمد غُنما " ، " باذلٍ متلفٍ مفيدٍ معيدِ " . الطريق الثاني ــ من خلال ذكر المعاناة الشديدة لناقته ، فقد عانت مشاقّاً وصعاباً أورثتها سقاما وهزالاً ، والشاعر يجيد في انتقاء الألفاظ التي تشعر بهذه المعاناة ، ومنها : " قد برها السُّرى إليك وسيري " ، " تحت حرّ الظهيرة الصّيخودِ " ، " وأتتكم طائد العرائك منها " ، " غَولُ بيدٍ تجتابها بعد بيدِ " ، " وأتتكم حُدب الظُّهورِ " ، وكانت مُسْنَمَاتٍ ممرُّها بالكديدِ " ، ومع ذلك كانت الناقة سعيدةً في سيرها ، وهذا ما نراه في قوله : " ذكرت ناقتي البطاح فحنت " ، " فأغذَّتْ في السير حتى أتتكم " ، " وهي قوداء في سواهمَ قُودِ " ، " نزلت بامرئ يرى الغُنم حمداً " .

وكما مدح العبليُّ هشام بن عبد الملك بالكرم مدح كذلك

البيت الأمويَّ ، ومن شعره في بني أميَّةَ[١٣١] :

" من الخفيف "

قـــادَةٌ ســـــادةٌ ملـــوكٌ بحارٌ	بهـــاليلُ للقُـــرُوم الصِّيدِ
أرْيَحِيُّون ماجِـــدون خِضَمُّـــونَ	حُمـــاةٌ عنـد اربدادِ الجلـــودِ
أهـــلُ رِفْـــدٍ وسؤددٍ وحياءٍ	ووفـاءٍ بالوعـــد والموعُودِ

إذا فالأمويون كرماء ، وصفة الكرم غالبة فيهم ؛ وهذا سرُّ الإتيان بالجموع الكثيرة ، ومن الألفاظ التي جاءت في صورة الجمع : " سادة ، بحارٌ ، بهاليلُ ، أريحيُّون ، خضمُّون ، أهل رفد " . والكرم الأمويُّ ليس كرما طارفاً ولكنَّه كرم تليد ، وقد ذكر الشاعر العبليُّ ذلك في قوله [١٣٢]:

" من الخفيف "

لو جـــرى النَّـاسُ نحو غايةِ مجـدٍ	لرهانٍ في المحْفَلِ المشهُـــودِ
لعلاهُمْ بسابِغَينِ في المجـــــــ	دِ على النَّـاسِ طارفٍ وتليـدِ

٢ ــ المدح بخيرية النسب "

مدح الشاعر العبليُّ بني أميَّة بشرف نسبهم وعراقته ، وفي هذا المدح لا ينسى نفسه فيفتخر هو الآخر بهذا النسب ، وقد وجدنا ذلك في قصائدَ كثيرة للعبليِّ ، ومن شعره الذي يمدح فيه الأمويين بأصلهم

---

(١٣١) كتاب الأغاني : "١١ / ٢٠٧ " .

(١٣٢) السابق : " ١١ / ٢٠٧ " .

الكريم ويفتخر هو الآخر بذلك [١٣٣] :

" من الخفيف "

لو بمجـدٍ نال الخلـــــودَ قبيلٌ	آل مـــــروانَ فُزتُمْ بالخلــودِ
يابنَ خيرِ الأخيارِ من عبد شمــسِ	يا إمـــامَ الورى وربَّ الجنُــودِ[١٣٤]
عبدُ شمسٍ أبوك وهو أبـــونا	لا تُناديك من مكـــانٍ بعيـــــدِ

(١٣٣) السابق : " ١١ / ٢٠٧ " .

(١٣٤) عبد شمس بن عبد مناف بن قُصيٍّ بن كلابِ بن مُرَّةَ بن كعب بن لؤي غالب بن فهر بن مالك بن النَّضرِ . ينظر : كتاب : نسب قريش : " ١١ : ١٤ " .

الفصل الثالث

المبحث الأول
التجربة الشعورية في شعر الأمويين عند العبليِّ

أولا- التجربة الشعورية في المفهوم النقديِّ :

"التَّجربةُ الشُّعوريةُ من المكوِّناتِ الرَّئيسيَّةِ والأساسيَّةِ في العملِ الشِّعريِّ ويقصدُ بها البَّاعثُ على نظمِ القصيدةِ... ويقولُ بعضُ النُّقادِ في تحديدِ مفهُومِها إنَّها البَّاعثُ الَّذِي يُثِيرُ في نفسِ المُبْدِعُ من الانفعالاتِ والوجداناتِ ما يحملُه على الإفصاحِ عنها في شكلٍ من الأشكالِ الفنيَّة المتنوِّعَة..."[١٣٥] .

ثانيا- العلاقة بين التجربة الشعورية والشعرية :

وهذا بدوره يدفعُنا إلى محاولةِ الوقوفِ على ماهيةِ التَّجربةِ الشُّعريَّةِ ، وهل هناك ترادفٌ بينها وبين التَّجربةِ الشُّعوريَّةِ ؟ وما

---

(١٣٥) التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق النصي: د. ناجي فؤاد بدوي، (٥)، (ط. الأولى)، دار الأرقم للطباعة والنشر بالزقازيق، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) وفي النقد الأدبي: إيليا الحاوي، (١٧)، (د. ط)، (د. ت).

طبيعة العلاقة بينَهُما ؟ يقول سيِّدُ قطب في كشف هذا الأمر : " التَّجربةُ الشُّعوريةُ هي العنصرُ الَّذي يدفعُ إلى التَّعبيرِ ، ولكنَّها ليستْ بذاتها هي العملُ الأدبيُّ ؛ لأنَّها ما دامتْ مُضمرةً في النَّفسِ لم تظهرْ في صُورةٍ لفظيَّة مُعيَّنة ، فهي إحساسٌ أو انفعالٌ لا يتحقَّقُ به وجودُ العملُ الأدبيُّ .(١٣٦)" . إذاً فالتَّجربةُ الشُّعوريَّةُ هي البَّاعثُ والدَّافعُ إلى العملِ الأدبيَّ سواء أكان هذا العملُ شعراً أم نثراً ، والتَّجربَةُ الشِّعريَّةُ هي العملُ الأدبيُّ الَّذي تحوَّلَ من إحساسٍ ومشاعرَ إلى شكلٍ وثوبٍ تعْبِيريٍّ لفظيٍّ . فالعلاقةُ بين التجربتين الشُّعوريةِ والشِّعريَّة هي أشبهُ ما تكونُ بالعلاقة بين الجزء والكلِّ ، أو العلاقةُ بين الخاصِ والعامِ

ثالثا ـ أنواع التجارب الشعورية :

والتَّجربةُ الشُّعوريَّةُ تتعدَّ د في موضوعِها ، فهناك التَّجربةُ الذَّاتيَّةُ ، والاجتماعيةُ ، والتَّاريخيَّةُ ، والأسطوريَّةُ ، والخياليَّةُ ، وكلُّ تجربةٍ من التجاربِ السَّابقةِ يُمكنُ لها أن تكون عملاً شعريًّا أو نثرياً متميزاً وخالداً ، فليست هناك تجربةٌ أولى من الأخرى في التعبيرِ والتَّصويرِ.

رابعا ـ التجربة الشعورية في شعر الأمويين عند العبليِّ:

التجربةُ الشُّعوريَّةُ في شعرِ الأمويين عند العَبْليِّ تجربةٌ اجتماعيةٌ في الموضوعِ ، وذاتيةٌ في المشاعرِ والأحاسيسِ ، وقد تمثَّلتْ هذه الذَّاتيةُ الشُّعوريةُ في شعرِه الأمويِّ سواء أكان

---

(١٣٦) النقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب ، " ط : الثامنة " ، دار الشروق ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م " ، " ١١ " .

هذا الشِّعرُ في رثاءِ الأمويين أم كان في مدحِهم ، وإن كانت الذَّاتيةُ باديةً وظاهرةً في شعرِه الرِّثائيّ أكثرَ من شعرِه المدحيِّ الَّذي لم نُجرِدْه من الرَّغبة الَّتي كان يسعَى إليها الآخرون من الشُّعراء ،

لقد كانت تْجربةُ العَبْليِّ في الأمويين فريدةً في بابها في الأدب العربيِّ ، وكان الذي أعطاها هذا التَّميزَ والتفرُّدَ أنَّها قِيلَتْ في وقت تسكتُ فيه الألسنةُ وتحتجبُ فيه المشاعرُ الصَّادقةُ ؛ خوفاً من المجهولِ الَّذي كان يلاحق أُصحاب الضَّمائرِ الوفيَّة ، لقد قالها العبليُّ بعد المذابح الَّتي قام بها العبَّاسيون ، وكانت دولةُ الأمويين قريبةَ العهد ، وكانت الذِّكرياتُ مع هذه الدَّولةِ مرئيةً وحيَّةً ، لقد أعلنَ العَبْليُّ مشاعرَه في قومِه وهي مشاعرُ وفاءٍ ، أعلنَها أمامَ الجميعِ ، لم يخفْ كما خافَ الكثيرون من الشُّعراءِ الَّذين كانتْ أ صواتُهم عاليةً في حياة الأمويين ، لكنَّها لآن أصبحتْ خافتةً باهتةً ، وليتَها مع هذا الخُفُوتِ قالتْ شيئاً ، ويا ليتَها سكتتْ كما سكت الآخرون ! ولكنَّها قالت تملُّقاً وتزلُّفاً للعباسيين .

وللعَبْليِّ قصائد رائعةٌ في رثاءِ قومِه ، لكنَّ التَّاريخَ لم يحفظ منها إلَّا قصيدتين ، كما أنَّ القصيدتين قد لعبتْ بهما كثيراً يدُ الزمان ، فلم يُبقِ لنا منهما إلَّا القليلَ ، وقد اتَّفقَ مؤرخو الأدبِ على موضوعِ سينية العَبْليِّ الَّتي قِيلَت في رثاء بني أميّة ، ولكنَّهم اختلفوا في تحديدِ موضوعِ الهمزيةِ المضمومة ، فمن النُّقادِ المُحدثين من قَال إنَّ الهمزية المضمومة مما قاله

العَبْليُّ في حياةِ الأمـويين ؛ وكـان يهـدفُ مـن ذلـك إلـى احتـواءِ الفتنة والصِّراع بين الأمويين ، ولم تكـنْ القصـيدةُ بـذلك فـي رثـاء الأمويين هكذا قالُوا ، وكـان ممَّـن قـال ذلـك الأسـتاذ الُـدكتور / مصطفى الشَّكعة في كتابه رحلـةِ الشِّـعرِ يقـولُ : إنَّ الهمزيـةَ ممَّـا قالَه العَبليُّ في تحذيرِ قومِه وعشيرتِه ، يقـول " ويقـعُ الخـلافُ بـين رجال بني أميَّة ، وتدبُّ الفتنـةُ فـي صـفوفِهم ، وتختلـفُ كلمـتَهُم ، ويُطِلُّ النَّحسُ برأسِـه مـن خـلالِ هـذه المحنـة ، ويرفـع بُعضُـهم السَّيفَ في وجهِ الآخرِ ، وتتهدَّدُ الدَّولـةُ بالفنـاءِ ومـا يسـتتبعُ ذلـك من شـرٍّ وهـلاكِ القـوم مـن أهـل السِّياسـةِ والرِّئاسـة والنَّـدى والسِّيادةِ والنُّهى ، إنَّ أبا عديٍّ العَبْليِّ ينـدبُ هـذه الفُرقـة بشـاعريةٍ فذَّة في أروعِ مقطوعةٍ موسيقيةٍ حزينة] قِيلَـتْ فـي هـذه المقُطوعـةِ ، إنَّها تحذيرُ العاقلِ الَّذي يرى ما تُخفيـه الأيَّـام مـن شـؤم وبـوارٍ ..."[١٣٧] . ولسـنا مـع هـذا الـرأي الـذي ذهـب إليـه الأسـتاذ الُدكتور / مصطفى الشَّكعة ، لأنَّ نـدبَ الفُرقـةِ مهمـا كـان مُؤلِمـاً لا يمكـن أن يـأتيَ بمثْـلِ هـذه الشَّـاعريَّة الفـذَّة والمُوسـيقيَّة الحَزينةِ ، وإنَّما يمكنُ أن يأتي بها حـزنٌ كبيـرٌ علـى ذهـابِ دولـةٍ كبيـرةٍ ، فلـو قرأنـا القصـيدةَ الهمزيـةَ جيِّـداً لوجـدنا أنَّ هـذه القصـيدةَ كانـتْ فـي رثـاء الأمـويين ، فالشَّـاعرُ يقـولُ فـي بدايتها[١٣٨] :

---

(١٣٧) رحلة الشعر: " ٤٦٧ " .

(١٣٨) الأغاني : " ١١ / ٢٠٧ " .

" من الكامل "

ما بالُ عينـِك جائـلا أقـــذاؤُهـــا	شرِقَتْ بعَبرتِهـا وطال بكاؤُهـا
ذكـــرتْ عشيرتها وفرقَـةَ أهلِها	فطـــوَتْ لذلك غُلَّةً أحشاؤُهـــا
واعتادها ذكـــرُ العشيرة بالأسـى	فصباحُهـا نابٍ بها ومساؤُهـا
شرِكوا العدا في أمرهم فتفاقمتْ	منها الفتـُونُ وفرِّقـــتْ أهواؤُهـا
ظلَّت هنـاك وما يُعاتبُ بعضُـها	بعضا فينفع ذا الرَّجـاء رجاؤُهـــا

نجد أنَّ الاستفهامَ التعجُبيَّ أوَّلُ ما يُقابلُنا في هذه الأبياتِ فلماذا هذا التَّعجبُ؟ والتَّعجُّبُ لا يكونُ في الأمور العادية المألوفة ، ولكنَّه يكون في الأحداث الشَّديدة المؤلمةِ ، ثمَّ من ماذا يتعجَّبُ ؟ يتعجَّبُ من جولان الأقذاء في عينيه ، لكن ماهي الأقذاء ؟ و ماذا فعلتْ الأقذاءُ في عينيه وهي كثيرةٌ ؟ إنَّ الأقذاء الَّتي أرادها الشَّاعرُ هو ماكان من غُروبِ شمسِ الدَّولةِ الأمويَّةِ وما أصاب أبناءُ تلك الدَّولة من قتلٍ وحبسٍ وتشريدٍ ويُتمٍ وقَهرٍ وذلٍّ ، لقد كان كلُّ ذلك سبباً في الغُصَّةِ التي أحدثتْ بعينيه ما أحدثَتْ ؟ لقد بكى وكثُر بكاؤه وعويلُه ، وبكاؤه ليس قريباً ولا لكنّه بكاءٌ قديمٌ ، إذاً فالعَبْليُّ يتحدَّثُ عن تجربةٍ قديمةٍ وقعتْ وليس عن تجربةٍ يُخشَى وقوعُها ، وهذا ما جعله يكثُرُ من الأفعالِ الماضيَّة ، فيقولُ " شرِقَت " ، " ذَكَرتْ " ، " فطوَت " ، واعتادها " ، وقد ساقَه رثاءُ الدَّولةُ الماضيَّةُ إلى ذكرِ الأسبابِ الَّتي أدَّتْ إلى ذلك الزَّوالِ ، وقد ذكرَ منها : الصِّراعَ الَّذي كانَ بين الأمويين ، وقد دعاه ذلك إلى الحديثِ عن مكارمِ هؤلاءِ في أيَّامِهِمْ التي مضتْ ، وهذا أمرٌ نراه كثيراً في السِّينيات التي كان موضوعُها رثاءَ الممالك والمدن الزَّائلة .

وقد مال إلى هذا الـرأي الأسـتاذُ مَهـدِي عبـد الحُسـين فـي

مقاله الذي نشرَه في مجلَّةِ الذَّخائرِ اللبنانيةِ ، فقد قال عن شعرِه : " وقد حفظَ لنا أبُو الفرج قصيدَتيه اللَّتين تفجَّع بهما على قومِه ..."(١٣٩).

كما يؤكِّدُ لنا أنَّ هذه الهمزيةَ كانتْ في رثاءِ الأُمويين ، ما قالَه أبو الفرج في الأغاني ، فيقول " لمَّا اُستُخلف المنصور "١٥٨ هـ " أرسلَ إلى العَبْليِّ ،فلمَّ جاءه ، قال له أنشدني ما قُلتَ في قومِك ، فاستعفاه ،قال له المنصورُ : لا أُعفِيك ، فقال العَبْليُّ : أَعطِني الأمانَ ، فأعطاه الأمانَ ، فأنشده الهمزيةَ من أوَّلها التِي يقولُ فيها(١٤٠) :

" من الكامل"

ما بالُ عينِك جائلا أقذاؤُها	شرِقَتْ بعَبرتِها وطالَ بكاؤُها

إلى أن قال(١٤١) :

" من الكامل "

فبنوأميَّة خيرُمن وطِئ الحصى	شرَفاً وأفضلُ ساسةٍ أمراؤُها

فلمَّا فرغَ منها ، قال له المنصورُ : اخرج لا قرَّب اللُّه دارك ، وإنَّما كان غضبُ المنصورِ ؛ لأنَّه وجدَ فيها صدقاً وحُزناً جيَّاشاً ، وهذه المعاني تأتي في الرِّثاءِ وليس في النُّصحِ والإرشادِ .

---

(١٣٩) مجلة الذخائر اللبنانية : "

(١٤٠) الأغاني : " ١١ / ٢٠٧ " .

(١٤١) السابق : " ١١ / ٢٠٧ " .

وإذا كان النُّقادُ القدماءُ والمحدثون قد اختلفوا في تحديد موضوع همزية العَبْليِّ ، فقد اتَّفقوا جميعا على روعة هذه القصيدة وأنَّها من القصائد الرَّائعة في الشِّعرِ العربيِّ ، فالدكتور الشَّكعةُ يقولُ عنها " ويُندبُ هذه الفُرقة بُشاعريةٍ فذَّة في أروعِ مقطوعةٍ موسيقيةٍ حزينة .." . ولكنْ لماذا كانتْ الهمزيةُ بُهذا الجمالِ والحُسنِ ؟ لأنَّها تميزت بمقوماتِ الجمال ، فقد رأينا فيها الصَّدقَ بنوعيه الواقعيّ والفنيِّ ، كما رأينا الإجادةَ العاليةَ في اختيار اللغة سواء أكانت اللغةُ ألفاظاً أم كانت أساليب وكلها تَعاوَنت في سبيلِ الوصولِ بالتَّجربةِ الشُّعورية إلى هذه الدرجة من الجودة والأداءِ المتميِّزِ من شاعرٍ ما زال مجهولا للكثيرين .

وكان لابد لنا في هذا المُقامِ أن نقفَ مع العَبْليّ في سينيته الخالدة التَّي انفعلَ فيها انفعالاً راقياً كان يُبكي العَبْليَّ وهو ينشدُها ، كما أنَّها أبكتْ كُلَّ من سمعَها ، وقبل أن نتحدثَ عن التَّجربَة الشُّعوريةِ في هذه السِّينيةِ رأينا أن نذكرَها أولا ، وهي كما جاءت في كتاب الأغاني[١٤٢] :

" من المتقارب "

تقولُ أُمامةُ لمّا رأتْ	نُشُوزي عنِ المضجَعِ الأنفسِ
وقِلَّةَ نومي على مضجعي	لدى هَجعَةِ الأعيُنِ النُّعَّسِ

(١٤٢) الأغاني : " ٢٠١ ، ٢٠٢ ".

أبي ما عـراك فقلتُ الهُمـوم	عَـرَون أبـاك فلا تُبلِـسِ
عـرون أبـاك فحبَّسنَـه	من الذُّلِّ فـي شـرٍّ ما محْبَسِ
لفقـدِ العشيـرةِ إذ نالهـا	سهـامٌ من الحـدثِ المُبئسِ
رمتْـهـا المنُـونُ بلا نُصَّـلِ	ولا طائشـاتٍ ولانُكَّـسِ
بأسهـمها الخالسـات النُّفُـوس	متى ما اقتـضَتْ مُهجَـةً تخْلِـسِ
فصرعاهمُ في نواحـي البـلادِ	تُلَقَّـى بأرضٍ ولـم تُـرمـسِ

قلنا إنَّ التجربةَ الشُّعورية َفي هـذه القصـيدةِ صـادقةٌ وحقيقيـة وواقعية ، فلم تكنْ التَّجربةُ خياليةٌ ولا أسطوريةٌ ، وقد وجـدنا العَبْلـيُّ ينفعلُ انفعالا صادقاً في هذه التجربةِ ، وانفعالُه وحزنُه يظهرُ فـي كـلِّ كلمةٍ من كلماتِ القصيدةِ ، بل يظهرُ في كلِّ صوتٍ من أصواتِها ،وهـذا ما يجعلُنا نشعرُ بكل المشاعرِ والأحاسيسِ الَّتي عاشها الشَّاعرُ ، وقد بلغَ من قوَّة تأثيرِها أنَّها أبكَتْ كلَّ من سـمعَها ولـو كَـان مُعارضـا للأمويين ، لقد بكى عند سماعِها من العَبْليِّ عبدُ اللَّه بنُ الحسـن " ١٤٥ هـ " بكاءً شديداً ، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني " أنَّ عبدَ اللَّه بنَ الحسن بكى عند ما أنشده العَبْليُّ هذه القصيدةَ ، حتَّـى إنَّ دموعَـه لتجريَ على خدِّه ...." ، وإنَّما كان ذلك منه ومن كلِّ من سمعَها ؛ لأنَّ العَبْليَّ أجادَ في تصويرِ أحاسيسِه ومشاعرِه التي تحرَّكَتْ في نفسه وبين جوانحِه ، فقد ذكر أنَّه حزينٌ ، وقد منعَه هذا الحزنُ من النَّـوم مـع أنَّ مضجعَه الَّذي يأوي إليه نفيسٌ ، وهذا ما جعل ابنتَه توجِّـهُ إليـه هـذا السُّؤالَ ، وتقولُ له : أبي ما عراك ؟ فذكر لها ما أذهب َالنَّوم َمن عينيه ، فقال لها : الهُمُوم ، لكنْ ما الَّذي جاء له بكلِّ هذه الهمـومِ الكثيـرةِ ؟ فقال: لفقدِ العشيرةِ ، ونراه في قصيدته يحكي ما حدثَ لعشيرتِه علـى

أيدي العبَّاسيين ، وكأنَّه أرادَ أنْ يكونَ شعرَه وثيقةً تاريخيةً تسجِّل بصدقٍ أحداثاً مهمةً في تاريخِ المسلمين ؛ لعلَّ من يقرُؤها يجدُ فيها عظةً وعبرةً إنْ كانَ من أولي الألبابِ ، ولذلك نجدُه يذكُر من سفك دماءَ الأمويين فيقولُ : " لفقد العشيرة إذ نالها " ، " سهامٌ من الحدثِ المُبْئِس "، " رمتها المنُونُ بلا نُصَّل " ، " ولا طائشات ولا نُكَّس " ، " ويظهر لنا فيما سبق مدى القوَّة الكبيرة للدَّولة العبَّاسية الَّتي استطاعت أن تهزمَ الجُيُوشَ الأمويَّة ، وكيف كان استعدادُ العبَّاسيين للمواجهةِ مع الأمويين ، فقد كان للعباسيين دعاة سريُّون تحرَّكُوا في كل مكانٍ من أرضِ الخلافةِ الأمويَّةِ ؛ للدَّعوة لآل البيتِ الهاشميِّ بالخلافة ، وقد نجحتْ هذه الدَّعوةُ السِّرية في تحقيق الأحلامِ الهاشميَّةِ العبَّاسيةِ ، ولا عجبَ أنْ نرى الشَّاعرَ يصفُ تلك الجيوشَ العبَّاسيَّة الكثيفةَ بكلمةِ " سهام " فهي تُوحِي بالكثرة ، وتوحي بالقوَّ ةِ ، وتوحي بالسُّرعةِ ، كما تُوحِي بالاستعدادِ الكبيرِ ، وهذا كلُّه ّ مما ينبغي أن تأخذَ به الأمةُ النَّاهضةُ والَّتي تريدُ أن يكونَ لها حاضرٌ مشرِّفٌ كما كان لها ماضٍ عريقٌ ، وبعدما يصف العَبْليُّ الجيوشَ العبَّاسيةَ بما وصف ، يأخذُنا إلى ميدانٍ آخرَ من ميادين القصيدةِ ، وهو في هذا الميدانِ يحدثُنا عن المذابحِ العبَّاسيَّةِ للأمويين ، ولقد كانتْ هذه المذابحُ في كلِّ مكانٍ ، وقد ذكرَ الشَّاعرُ هذه الأماكن َمرَّة على سبيلِ الإجمالِ ، ومرَّة أخرى على سبيل التَّفصيلِ ، فهو هُنا ُ يُجملُ لنا هذه الأماكنَ ، فيقولُ " فصرعاهم في نواحي البلاد " وبعد هذا الإجمال يأتي التَّفصيلُ في مكانٍ آخَر من القصيدةِ ، وفيه يقول[١٤٣] :

---

(١٤٣) الأغاني : " ١١ / ، ٢٠٢ " .

" من المتقارب "

أفاض المدامـعَ قتلَـى كُـدى	وقتلَـى بكُثْـوةَ لـم تُـرمسِ
وقتـلى بـوجٍّ وباللَّابتـي	نِ من يثربَ من خير ما أنفُـسِ
وبالزَّابيينِ نفـوسٌ ثـوتْ	وقتـلى بنهـر أبي فُطـرُسِ
أولئك قـومٌ تداعَتْ بهـم	نوائـبُ من زمـنٍ مُتعِـسِ
أذلَّـتْ قيـادي لمن رامني	وألْزقْتُ الرَّغْـمَ بالمَعْطـسِ
فمـا أنـسَ لا أنسَ قتلاهُـمُ	ولا عـاش بعدَهُمْ من نَسَى

فقد كانت المذابحُ الأمويةُ للعباسيين في يثرب ، وقد حدد الشاعر هذه الأماكنَ في يثرب بقوله : " بوجٍّ ، وباللّابتين " ، كما كانت هذه المذابح في العراق ، وقد أعلن عن أماكن العراق بقوله : " الزَّابيين " وهو بذلك يقصدُ المعركةَ التي كانت عند نهرِ الزَّابِ الأكبر ، والمعركة الأخرى التي كانت عند نهر الزَّاب الأصغر ، ولا ينسى أن يشيرُ إلى معركة أخرى قتل فيها كثير من العباسيين ، تلك المعركة التي كانت عند نهر أبي فُطرُسِ. ونحن نجد الأسى والحزن في كلمات العبليِّ الواصفة ، وهنا يمكن أن يُعتقدَ أن الحزن العميق على الأمويين كان من العبليِّ وحده ؛ لأنهم قومُه وعشيرتُه ، مما حدا به أن يقول (١٤٤):

" من المتقارب "

كريـمٌ أُصيـبَ وأثوابـهُ	منَ العـارِ والذَّامِ لـم تَدنـسِ

(١٤٤) الأغاني : " ٢٠١ ، ٢٠٢ " .

وآخرُ قد طار خوف الرَّدى	وكانَ الهُمامَ فلم يُحْسِسِ
فكمْ غادَروا من بواكي العُيُو	نِ مَرضَى ومن صِبْيَةٍ بُؤَّسِ
إذا ما ذكرنهُمْ لم تنم	لحرِّ الهُمومِ ولم تجْلِسِ
يُرجِّعْنَ مثلَ بُكاءِ الحما	مِ في مأتَمٍ قَلِقِ المجلِسِ

وبعد لقد كان العبليُّ صادقا كُل الصدق في إحساسه ومشاعرِه الفيَّاضة والجيَّاشة تجاه قومه من الأمويين ، وهذا ما ذهبَ إليه الأستاذ الدكتور / مصطفى الشَّكعة يقول " إنَّ القصيدةَ الَّتي تَنْزِعُ الدُّموع من عيني رجلٍ يبكي على أعدائه ، لابد أن تكونَ شيئا فريداً في بابها وفتحاً جديداً في ميدانها ، ولقد كانتْ كذلك السِّينيةُ ، ولقد كانت السينيةُ رائعةً ، وكان ذلك من عدَّةِ جوانب ، منها أنَّ القصيدةَ موجَّهةٌ من رجلٍ حزين لابنته وقد تعرُّوا من مجد ملكي تليد ، ومنها على المواقع والمذابح التي حلَّت بالقوم في حضور النَّحس المفاجئ وغيبة السَّعد الَّذي لازمهم طويلاً ، ومنها جوُ الحُزن الَّذي بسطَه الشَّاعرُ في حِزْقٍ وبدون تصنُّعٍ على أذنِ السَّامع وخاطرِه م ، مع اختيارِ قافيةٍ حزينةٍ لعبتْ حركةُ السِّين فيها دورُ النَّادبةِ ..."[١٤٥] .

(١٤٥) كتاب رحلة الشعر من الأموية إلى العبَّاسية : " ٤٧١ ، ٤٧٢ " .

المبحث الثاني

الألفاظ والمعاني في شعر الأمويين عند العبليِّ

أولا- دراسة الألفاظ في شعر الأمويين عند العبليِّ :

عاش الشاعر العبليُّ في عصرين الأمويِّ والعباسيِّ ، وهو بذلك من الشعراء المخضرمين ، لكن كيف كان شعرُه ؟ هل كان شعرُه أمويًا في سماتِه وخصائصه ؟ أو كان عباسيًا في مناهجِه ومناحيه ؟ ولكي يمكنَ الوقوفُ على طبيعة شعر العَبْليِّ ، لابد أولاً من معرفة طبيعة الشعرِ " الشعرُ لا يتغيرُ بين عشيَّةٍ وضُحاها بتغيرِ العهد أو الدَّولة الَّتي عاش فيها ، فليس من المعقول أو المقبول أنْ يُصنَّفَ شاعرٌ ما في النِّصْفِ الأوَّلِ من عام مائة واثنين وثلاثين على أنَّه شاعر أُمويٌّ ، ويُصنّف في النِّصفِ الثَّانِي حين سقطت دولةُ بُني أُميَّةَ وقامتْ دولةُ بني العبَّاس بأنه شاعرٌ عباسيٌّ ، حتَّى ولو مدح الشاعرُ هؤلاء وهؤلاء ، فالعبرةُ بطبيعة الشعرِ وسماتِه وخصائصِه وليس بالعهد الَّذي قيل فيه ..."(١٤٦) .

ونلاحظ أنَّ الشاعرَ العَبْليَّ كان ممن يقفون في شعرهم ــ الَّذِي قيل في العصرِ العباسيِّ ــ موقفاً وسطاً بين الأمويةِ والعباسيةِ ، وتتجلَّى هذه الوسطيةُ في محافظتِه على عمود الشعر العربيِّ القديمِ الذي ظهرت سماتُه وخصائصُه في الشعر الأمويِّ ، سواء أكان ذلك في الألفاظ ، أم في المعاني ، أم في الصور والأخيلة ، أم في موسيقاه وإيقاعه ، لكنَّه مع ذلك كان

---

(١٤٦) كتاب رحلة الشعر : " ٥ " .

ينظر إلى نسائمِ التطور وبشائرِه التي ظهرت في عصر العباسيين ، وقد وجدنا ظلال َهذا الانفتاحِ على حضارة العبَّاسيين في بعض ِألفاظه ومعانيه ، ولأجل ذلك ذكره الأستاذ الدكتور / مصطفى الشَّكعة في كتابه رحلة الشعرِ بين الشعراء المُخَضرمين الَّذين كانُوا يقفُون على أرضٍ أُمويَّةٍ بنصفٍ منها، ولكنَّها أطلَّتْ على الأرض العباسية فنيَّاً بنصفِها الآخر ، وقد ذكر السببَ في ذلك فقال " لقد حافظَ هؤلاء على أصالة الجوِّ الأمويِّ للقصيدة قدرَ استطاعتِهم ، لكنَّهُم راضُوا أنفسهُم على شيء من التطور في غير ما إسراف أو تسرُّعٍ ، وظلُّوا يلتفتون إلى الماضي بين الحين والآخر ؛ حتَّى لا تغيب َعنهم صورتُه ، فيفقدَ شعرُهُم سماته الَّتي لا يرضُون عنها بديلاً من إشراقٍ وَنضْرَةٍ ونقاءٍ وجزالةٍ والتزامٍ لعمودِ الشعر العربيِّ ...."[١٤٧] .

ومع مواكبة شعر العَبْليِّ العباسيِّ للتطور والتغيير في عصر العباسيين ، فإنّ شعرَه الأمويَّ ظلَّ متمسكا بالأمويَّة في ألفاظه ومعانيه ، وهذا ما سيتكشَّفُ لنا من خلال دراسةِ ألفاظ شعره ومعانيه.

ألفاظ العبليِّ في شعر الأمويين بين المحافظة والتجديد :

ا ــ المحافظة في الألفاظ في شعر الأمويين عند العبليِّ :

حافظ الشَّاعرُ العَبْليُّ على متانةِ الألفاظِ وجزالتِها وقوتِها مع فصاحتِها وبلاغتها في شعره الأمويِّ الذي قاله قبل ذهاب الدولة الأمويَّة ، وبخاصةٍ في مدحِه للخليفةِ هشام بنِ عبد

---

(١٤٧) السابق : "٢٠ " .

الملك ؛ ولا عيبَ في ذلك فهذه هي طبيعةُ المدح ، وطبيعةُ اللغة في هذا العصر ، وطبيعة الخلفاء كذلك ، وطبيعةُ الشعراء ، ورغبةُ علماء اللغة . ومن شعر العَبْليِّ الذي تبدو فيه هذه المحافظة اللفظية واللغوية [١٤٨] :

" من الخفيف "

ليلتي من كنُودَ بالغَورِ عُودي	بصفاءِ الهوى من امِّ أسيدِ
ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا	عهدهُ فارجعِي ثُمَّ زيدي

ويقول :

" من الخفيف "

فاسرِ عنك الهُمومَ حينَ تدَاعتْ	بعلاةٍ مثلِ الفَنِيقِ وخُودِ
عنتريسٍ تُوفِي الزِّمامَ بفعْمِ	مثلِ جذعِ الأشاءةِ المجرودِ
وارمِ جوزَ الفلا بها ثمَّ سُمْها	عجْرَفِيَّ النَّجاءِ بالتوخيدِ
وهشاما خليفةَ الله فاعمدْ	واصرِمنْ مِرَّةَ القويِّ الجليدِ

والمحافظة على جزالة الألفاظ وقوتِها يظهرُ في دالية العَبْليِّ ، ولو سرنا معه إلى نهاية القصيدةِ لوجدنا ذلك واضحا ، وهو في هذه الأبيات يحرصُ على بداوة الألفاظ والكلمات ، وكأنَّه يخافُ عليها من الضَّياع ، وتظهرُ المحافظة في قوله : " كنود " ، " الفنيق " ، " خُودِ " ، " عنتريس تُوفي الزِّمام بفعْمٍ " ، " جذع الأشاءة المجرودِ " ، عجرفيَّ النَّجاء " ، " مرَّة القوىِّ الجليدِ " ، والقصيدةُ مُفعَمة بهذه الألفاظ .

---

(١٤٨) الأغاني : " ١١ / ٢٠٥ " .

٢ـ المحافظة والتجديد في شعر الأمويين عند العبليِّ :

نجد الشاعر في قصيدته الهمزية التي بكى فيها بني أميَّة يزاوجُ بين الألفاظ الجزلة القوية العميقة وبين الألفاظ السهلة الرقيقة الجلية ؛ وذلك لأنَّ الهمزية قدَّمَت أكثرَ من معنى ، فقد قدَّمت وصفا لمشاعر الشاعر الحزينة وقدَّمَتْ كذلك ثناءً عليهم ، والألفاظ التي تحدثت عن هذه المعاني كادتْ تذُوبُ رِقَّةً وعُذُوبةً ، يقول العبليُّ مادحا قومه (١٤٩):

" من الكامل "

أهل الرِّياسة والسياسة والنَّدى	وأُسودُ حربٍ لا يخيمُ لقاؤُها
غيث البلادِ همُ أُمراؤُها	سُرُجٌ يُضيءِ دُجَى الظَّلام ضياؤُها

لكن عندما يتحدَّثُ العبليُّ عن الحروب والصراعات بين الأمويين ،فإنَّه يُؤثرُ الألفاظ القويَّةَ ، ومن ذلك قولُه في نفس القصيدة (١٥٠):

" من الكامل "

شركُوا العدا في أمرهم فتفاقمت	منها الفُتُونُ وفُرِّقَتْ أهواؤُها
ظلَّتْ هُناك وما يُعاتِبُ بعضُها	بعْضا فينفعَ ذا الرَّجاءِ رجاؤُها
إلَّا بمُرهفة الظُّبات كأنَّها	شُهُبٌ تقِلُّ إذا هوتْ أخطاؤُها
وبعُسَّلٍ زُرقٍ يكون خضابُها	علقَ النُّحُورَ إذا تفيضُ دماؤُها

٣ ــ التجديد في ألفاظ شعر الأمويين عند العبليِّ :

---

(١٤٩) السابق : "١١ / ٢٠٧ " .

(١٥٠) السابق : " ١١ / ٢٠٧ " .

يُدهشُنا الشاعرُ العبليُّ في السينية التي أسيَ فيها لقومه ، وجدنا تميُّزاً وتفرُّداً في الألفاظ ، فقد أجاد في انتقاء الألفاظ التي جاءت فيها ، وقد رأينا الألفاظ في غالبها تميل إلى السهولة واليسر ، وهذا دليل على تأثر الشاعر بالموضوع وبروح العصر الذي قيلت فيه هذه القصيدة ، وهذه هي السينية التي تشهدُ لنفسها بما فيها من سلاسة وعفوية[١٥١]:

" من المتقارب "

تقولُ أُمامةُ لّما رأتْ	نُشُوزي عنِ المضجَعِ الأنفسِ
وقِلَّةَ نومي على مضجعي	لدى هَجعَةِ الأعيُنِ النُّعَّسِ
أبي ما عراك فقلتُ الهُموم	عَرَون أباك فلا تُبلِسِ
عرون أباك فحبَّسنَه	من الذُّلِّ في شرٍّ ما محْبَسِ
لفقدِ العشيرةِ إذ نالها	سهامٌ من الحدثِ المُبئسِ
رمتْها المُنونُ بلا نُصَّلٍ	ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ
بأسهمها الخالسات النُّفُوس	متى ما اقتضَتْ مُهجَةً تخْلِسِ
فصرعاهمُ في نواحي البلادِ	تُلَقَّى بأرضٍ ولم تُرمسِ
كريمٌ أصيبَ وأثوابُه	منَ العارِ والذَّامِ لم تَدنسِ
وآخرُ قد طار خوف الرَّدى	وكانَ الهُمامَ فلم يُحْسسِ
فكمْ غادَروا من بواكي العُيُو	نِ مَرضَى ومن صِبْيَةٍ بُؤَّسِ
إذا ما ذكرنهُمْ لم تنم	لحرِّ الهُمومِ ولم تجْلِسِ
يُرجِّعْنَ مثلَ بُكاءِ الحما	مِ في ماتَمٍ قَلِقِ المجلِسِ
فذاك الّذي غالني فاعلمي	ولا تسالِيني فتستنجِسي
وأشياء قد ضِفْنَني بالبلادِ	ولستُ لهُنَّ بمُستَحْلِسِ

(١٥١) السابق : " ١١ / ٢٠١ ، ٢٠٢ " .

أفاض المدامعَ قتلَى كُدى	وقتلَى بكُثْوةَ لم تُرمسِ
وقتلى بوجٍّ وباللَّابتي	نِ من يثرِبَ من خير ما أنفُسِ
وبالزَّابيينِ نفوسٌ ثوتْ	وقتلى بنهر أبي فُطرُسِ
أولئك قومٌ تداعَتْ بهم	نوائبُ من زمنٍ مُتعِسِ
أذلَّتْ قيادي لمن رامني	وألْزقْتُ الرَّغْمَ بالمَعْطسِ
فما أنْسَ لا أنسَ قتلاهُمُ	ولا عاش بعدَهُمْ من نَسَى

و ممَّا ساعد على يسر الألفاظ وسهولتها أنَّ الشاعرَ العبليَّ أكثر في القصيدة من الأصوات الرقيقة والمهموسة ، التي نراها تتكرر كثيرا فيها ، ومن هذه الأصوات حروف المدِّ واللِّين ، والتي تظهرُ كثيراً في كلِّ كلمة من كلمات القصيدة ، ومن الكلمات التي تظهرُ فيها هذه الحروف والأصوات : " تقول " ، " أمامة " ، " لمَّا " ، " نشوزي " ، " المضجعي " ، " أبي " ، " ما عراك " ، " الهموم " ، عرون " . كما أكثر الشاعر من الحروف المهموسة والرقيقة ، ومنها السين ، وهي تأتي كثيراً في النَّصِ في غير القافية ، ومن ذلك قوله : " سهام " ، " الخالسات " ، " النفوس " ، وهي كثيرة ، وإنَّما كان ذلك من الشاعر ؛ ليكون هَناك التناغم والانسجامُ بين الألفاظ والخلجات الحزينة في نفس الشاعر .

ثانيا ــ دراسة المعاني في شعر الأمويين عند العبليِّ :

المعاني التي جاءت في شعر العبليِّ معاني تقليدية محافظة

ليس فيها ابتكارٌ ولا تجديدٌ ، وهذا يُقال في شعره بصفة عامة ، يقالُ في شعره الذي مدح به بني أميَّة ، كما يُقال أيضا في شعره الذي بكاهم فيه والذي جاء في قصيدتين طويلتين ، وإن كان في قصيدته السينية ابتكارٌ ، فهو من ناحية الموضوع وهو بكاء دُولة بني أمية ، وكذلك في مشاعره الصادقة ، وهذه هي طبيعةُ الشاعر المطبوع ، والشعراء المطبوعون هم " الذين يسيرون وفق عمود الشعر المورروث ، فلا يُنمِّقون ، ولا يتأنَّقُون ، ولا يتكلَّفُون ، ولا يُغربون ..." (١٥٢).

المبحث الثالث

الصُّورة الفنيَّة في شعر الأمويين عند العبليِّ

التَّصويرُ الفنِّيُّ يلعبُ دوراً كبيراً في الإيحاء بالمعاني، وكذلك

---

(١٥٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د / شوقي ضيف ، طبع دار المعارف ، " ٧ " .

بالمشاعر والأحاسيس ؛ ولذلك كان هناك التفاتٌ من الشُّعراء إليه ، فقد كانوا يُدركون قيمتَه ومنزلتَه في التجارب الشُّعورية التي تُصوِّرُ النَّفْسَ الإنسانيةَ وما تموجُ به هذه النَّفس ُ من مشاعر كَثيفةٍ ومتباينةٍ ، وعن هذه القيمة الفنيَّة يحدِّثنا سيد قطب ، فيقول : " هو يُعبِّرُ بالصُّورةِ الحسيَّةِ المُتَخيَّلةِ عن المعنى الذِّهنِي والحالة النَّفسيةِ، ثمَّ يرتقِي بالصُّورةِ الَّتي يرسمُها فيمنحُها الحياة الشَّاخصةَ أو الحركةَ المُتجدِّدةَ ، فإذا المعنى الذِّهنيُّ هيئةٌ أو حركةٌ ، وإذا الحالةُ النَّفسيةُ لوحةٌ أو مشهدٌ ، وإذا النُّموذجُ الإنسانيُّ شاخصٌ حيٌّ ، وإذا الطَّبيعةُ البَشريةُ مُجَسمةٌ مرئيةٌ ، فإذا المشاهدُ والقصص والمناظرُ فيها حركةٌ وحياةٌ .."[١٥٣] .

والتَّصويرُ الفنِّيُّ الَّذي يُبرزُ المعاني الذِّهنيةِ في صورةٍ حسيَّةٍ له طُرُقٌ منها الاستعارةُ ، وإنَّما وقفتُ معها لبيانِ أثرها الفنِّيِّ ؛ لأنَّها تأتي بكثرةٍ في شعر الأمويين عند العَبْليِّ بخلاف غيرها من الألوان البيانية ،كما أنَّها تأتي وبكثرةٍ في شعر الشعراء ، وإنَّما كان هذا الإقبالُ عليها من العَبْليِّ وغيره من الشُّعراء ، لأنَّها تتناسبُ مع طبيعة الشِّعرِ الغنائيِّ ، " و الشِّعر ُالغنائي مليء بالثورة العاطفية وبالمشاعر الملتهبة، والاستعارة هي "التي تلائمُ الثورةَ العاطفية وحدَّة الوجدان، فتخرج الكلمات ملتهبة، والاستعارة هي "التي تلائمُ الثورةَ العاطفية وحدَّة الوجدان، فتخرج الكلمات ملتهبة حادة بفضل ما في المجاز والاستعارة من تركيز، والإيجاز يعُطِي التعبيرَ قُوَّةً، وفي أثناء ذلك

---

(١٥٣) التَّصوير الفنيّ في القرآن : سيد قطب ، دار المعارف ، " ١٩٨٩ م " ، " ٣٤ " .

يتحوَّل الشاعر إلى ما يشبه صانعاً جديداً للغة، فهو يسمِّى الأشياء بغير أسمائها، ويصفها بغير صفاتها معبراً عن علاقات فكرية لها جديدة، علاقات تدمجها في المعنى الكلى للكون"..[١٥٤].

لذلك كان هذا الحرصُ من الشاعر العبليِّ على الاستعارة ، وقد جاءت الاستعارةُ في شعره بكثرة ، كما أنَّها تنوَّعَتْ مابين الاستعارة المكنيةِ والاستعارة التَّصريحية ، وهذا ما نراه واضحا في شعره المدحي أو شعره الرِّثائي ، ومن النَّماذج الشِّعرية الَّتي ظهرت فيها الاستعارة واضحةً وكانت متناسقة ومتناغمةً مع الجو النَّفسيِّ ما جاء في الهمزية [١٥٥] :

" من الكامل "

ما بالُ عينك جائلا أقذاؤها	شرِقَتْ بعَبرَتِها وطال بُكاؤُها
ذكرت عشيرتَها وفرقَةَ أهلِها	فطَوَتْ لذلك غُلَّةً أحشاؤُها
واعتادَها ذكرُ العشيرة بالأسى	فصباحُها نابٍ بها ومساؤُها
شركُوا العِدا في أمرهِمْ فتفاقمتْ	منها الفُتُونُ وفُرِّقَتْ أهواؤُها
ظلَّتْ هُناك وما يُعاتِبُ بعضُها	بعضاً فينفعَ ذا الرَّجاءِ رجاؤُها
إلَّا بمُرهفةِ الظُّباتِ كأنَّها	شُهُبٌ تُقِلُّ إذا هَوت أخطاؤُها

الشَّاعرُ العبليُّ في هذه الهمزية المتميزةِ في موضوعها ، يُصوِّرُ تجربة قاسية ، وهل هناك أقسى من فقد العشيرة ؟ لقد كان بنو أميَّة

([١٥٤]) في النقد الأدبي: ص (١٧١)، ط. دار المعارف.

(١٥٥) الأغاني : " ١١ / ٢٠٧ " .

للعبليِّ الغنى والثَّراءُ، كانوا له الأمان والاستقرارُ ، كانوا له العزَّ والشرف ، كانوا له الفخرَ والخُيَلاءَ ؛ لهذا كانت التَّجربة حزينة ، ولأجل ذلك أيضا امتلأت نفسُ الشَّاعرُ بالألم واللَّوعة على العزِّ والشَّرف الذاهبِ ، وفي هذا الجوِّ الجنائزيِّ تكثرُ الاستعارات المكنية الَّتي شخَّصَتْ هذه المشاعرَ في صورة حيَّةٍ تفيضُ بالحركة والحيويَّةِ ، فالاستعارات تُقابلنا في الأبيات السابقة بكثرةٍ ، ومن هذه الاستعارات : " ما بال عينك جائلا أقذاؤُها " ، فقد جعل العين تجولُ وتتحرك ، والتَّجوُّل والتَّحرُّكُ ليس من سمات العين ، ولكنَّه من سمات الإنسان ،وعندما يعطيَ الشَّاعرَ للعين صفات الإنسان ، يكون ذلك على سبيل الاستعارة المكنية التشخيصية ، وكأنّها أصبحت شخصا آخر يشاركه أحزانه وأتراحه ، ومثل هذا التشخيصُ يؤكدُ على حزنه القويِّ ، وتجاورُ هذه الاستعارة استعارتان الأولى تظهر في قوله : " شرِقَتْ بعبرتها " ، فقد جعل العين تشرق بالعبرة ، وهذا التشخيص يؤكد على هذا الحزن ، والثانية تظهر في قوله : " طال بكاؤُها " وهي تدلُّ على قوَّة الحزن وطول مدَّته ، وتتوالى الاستعارات في الأبيات وكلُّها استعارات مكنية تشخيصية توكيدية ومنها : " ذكرتْ عشيرتها " ، " فطوت " ، " واعتادها ذكرُ العشيرة " ، " فصباحُها نابٍ ومساؤُها " ، " فتفاقمت منها الفُتُونُ " ، " وفُرِّقَتْ أهواؤُها " ، " فينفع ذا الرَّجاء رجاؤُها " ، " شُهُبٌ تُقِلُّ " ، " إذا هوتْ أخطاؤُها " ، " وبعُسَّلٍ زُرقٍ يكون خِضابُها " ،إذا تفيض دماؤُها " .

وتأتي هذه الاستعارات بكثافة في قصيدته الدَّالية وهي أيضا استعارات مكنية تجسيدية تشخيصية توكيدية ، وتظهر هذه الاستعارات

في قوله [١٥٦] :

" من الخفيف "

ليلتـــي من كنـــــودَ بالغَورِ عـودي	بصفـــاءِ الْهـــــوى من امٍّ أسيـــدِ
ما سمعنـا ذاك الهَـــــوى ونسينـا	عهـــــده فارجعـي به ثُمَّ زيـــدي
قد تـولَّى عصـــرُ الشَّبابِ فقيـــــدا	رُبَّ جـــارٍ يَبينُ غيـــرَ فقيـــــدِ
خلقَ الثَّـــوبُ من شبـــــابٍ ولِبسٍ	وجديـــــدُ الشَّبـــــابِ غيرُ جديـــد
فاسرِ عنك الهُمُـــومَ حين تداعتْ	بعَـــلاةٍ مثـــلِ الفَنيـــقِ وخُـــــودِ

ومن هذه الاستعارات قوله " ليلتي ....عودي " فقد شبَّه الليلـــة بإنسان يعود، والليلة لا تعود وإنَّما يعود الإنسان ، وهـــذا علـــى ســـبيل الاستعارة المكنية التجسيدية ، وإنَّما خاطب الليلة بمـــا يخاطـــب بـــه الإنسان ليدُلَّ على حُزنه وحيرته ، ومنها كذلك قوله : " بصفاء الهوى " ، " ما سمعنا ذاك الهوى " ، " ونسينا عهده " ، " قـــد تـــولَّى عصـــرُ الشَّباب " ، " الشَّباب فقيدا " ، " ، " وجديدُ الشَّـــباب " ، " فاســـر عنـــك الهموم " ، تداعتْ بعلاة ..." ، فكلُّ هذه استعارات مكنيـــة تجســـيدية تجعل الهوى في الأولى كالماء ، وفي الثانية تجعله إنسانا يسمع ، وفـــي الثالثة إنسانا يتولَّى ، وفي الرابعة تجعلـــه شـــبابا يمـــوت ، وفـــي الخامسة تجعله شابا في ريعان شبابه ، وفي السَّادسة تجعله إنســـاناً يسري ، ولا شك أنَّ في كُلِّ هذه الاستعارات تجسيداً وتوضيحاً وإبـــرازاً لمعاني الهوى في صورة محسوسة مدركة بالحواس الخمسة الظَّـــاهرة ، وأصبحنا بفضل هذه الاستعارات نرى الهوى في صفائه ، ونـــرى أيَّـــام

---

(١٥٦) الأغاني : " ١١ / ٢٠٥ " .

الشَّباب وهي تتولَّى ، ونتخيل أيام الشَّباب في وقت الصِّبا ، كلُّ ذلك بفضل هذه الاستعارات التي فاض منها البيت ، ولا ريب أنَّ في ذلك إثراءً للتجربةِ وإحياءً لها وإبقاءً لها في الذاكرة وهي تنبض بالحياة .

وتأتي الاستعارات المكنية كذلك بعفوية في سينية العبليِّ في رثاء بني أُميَّة ، وتظهر هذه الاستعارات في كلِّ أبيات القصيدة ، ومن الأبيات التي شاعت فيها هذه الاستعارات وتلوَّنت بمشاعر الشَّاعر الباكية ، قوله[١٥٧] :

" من المتقارب "

أبي ما عراك فقلتُ الهُموم	عَرَون أباك فلا تُبلِسِ
عرون أباك فحبَّسنَه	من الذُّلِّ في شرٍّ ما محْبَسِ
لفقدِ العشيرةِ إذ نالها	سهامٌ من الحدثِ المُبئسِ
رمتْها المنُونُ بلا نُصَّلٍ	ولا طائشاتٍ ولانُكَّسِ
بأسهمها الخالسات النُّفُوس	متى ما اقتضَتْ مُهجَةً تخْلِسِ

والجو في الأبيات مُلبَّدٌ بغيوم الحُزن ، والَّتي تجري في الحروف والأصوات والكلمات ، وهذه المشاعرُ القاتمة تلوِّنُ الألفاظ في أزمانها المختلفة ، وتشكِّلُ المعاني بألوانها السَّوداوية ، وهذا كلُّه ينعكسُ على الصُّور الكثيرة وبخاصة الاستعارات الَّتي كانت سبيلا مُهمَّاً من سبُل الإيحاء والإمتاع ، ومن هذه الاستعارات ما جاء في قوله : " الهموم عرَون " ، " الهموم ..... فحبَّسْنَه " ، " نالتها سهام "

---

(١٥٧) كتاب الأغاني : " ١١ / ٢٠١ ، ٢٠٢ " .

، : الحدث المُبئسِ " ، رمتْها المنُون ...بلا نُصَّلٍ " بأسهمها الخالسات " ، وكلُّ هذه الاستعارات جاءت لتُجسدَ الهموم وتؤكدُ علـــى قوتهـــا ، وكان لابدَّ أن تكون كذلك ، وإلَّا لما استطاعت هذه الهمـــوم أن تُســـقطَ عرشاً عظيما كالعرش الأمويِّ ، فالهموم تغلـــبُ ، والهمـــومُ تحـــبسُ ، والسهام تنال ، والحدث يبئس ، وكُلُّ هذه الاستعارات استعارات خلَّاقـــة كان لها دور كبير في بناء التجربة الشعورية والإيحاء بمضمونها .

وكما لعبت الاســـتعارة دوراً ظـــاهراً فـــي تشـــكيل التجربـــة الشعورية والإعلان عنها ، كذلك كان للتشبيه أثرٌ واضحٌ في هذا التَّشكيل ، " وللتشبيه وظيفة مهمة في العمل الأدبي، فوظيفة التشبيه "التصـــوير والتوضيح، وذلك بالانتقال من شيء إلـــى شـــيءٍ يشـــبهه ويشـــاكله، والتشبيه يعبر به الشاعر أو الكاتب عن معنى في نفسه، وكلما كان أبعد وأغرب كان أروع وأجمل، غير أنه لا يستخدم في حالة الانفعال الشديد، ولذلك كان يشيع في النثر الفني والشعر التصويري، فأمـــا فـــي الشـــعر الغنائي فيقل استخدامه؛ لأن الشاعر يكون جياش العاطفة قلما عنى فيـــه بالمشابهات والمقارنات التي تفد على ذهن الكاتب وخيالهم فـــي أوقـــات التأمل والهدوء [١٥٨].

والتشبيهات قليلة في شعر العبليِّ و من التشبيهات القليلـــة التـــي جاءت في شعر العبليِّ ما جاء في الدَّالية في مدح هشام بن عبد الملك

([١٥٨]) في النقد الأدبي: ص (١٧٣)، ط. دار المعارف، والأســـلوب: ص (٦١)، (د. ط).

:(١٥٩)

" من الخفيف "

من بني النَّضـر من ذُرا منبتِ النَّضـ	ربـاورى زَنْدٍ وأكـــــــرم عُودِ
فهـــو كالقلبِ بين الجوانح منهـــا	واسـطُ سرٍّ جذْمِـــــــها والعديد

والتشبيه في قوله " فهو كالقلب " ، وهو تشبيه يوضِّح ويؤكدُ على المنزلة السَّامية للممدوح في نفس الشاعر ، ومن التشـبيهات التـي جاءت في شعر العبليِّ ما جاء أيضا في الهمزية(١٦٠) :

" من المتكامل "

إنَّا بمُرهفـــــــة الظُّباتِ كأنَّها	شُهُـــــبٌ تَقِلُّ إذا هـوت أخطاؤُهـا

والتشبيه في قوله : " الظُّبات كأنَّها شُهُبٌ " ، فهـو هنـا يشـبِّه السيوف بالنجوم ، ومنها أيضا ما جاء في السينية ومن ذلك قوله (١٦١)

" من الخفيف "

يُرجِّعْـنَ مثل بُكـــــــاء الحمـا	م في ماتـــــــمٍ قلـــقِ المجلسِ

والشَّاعرُ يشبِّه صوتَ النِّساء الباكيات بصوت الحمـام ، و وجـه الشَّبه الَّذي يجمع بين الطرفين هو الحزن .

المبحث الرابع
الإيقاع في شعر الأمويين عند العبليِّ

---

(١٥٩) الأغاني : " ١١ / ٢٠٥ " .

(١٦٠) الأغاني : " ١١ / ٢٠٧" .

(١٦١) الأغاني : " ١١ / ٢٠١ ، ٢٠٢ " .

أولا ـ الإيقاع الخارجي :

الشِّعرُ فن من الفنُونِ الجميلةِ ، لكنْ لماذا كان الشِّعرُ كذلك ؟ لأنَّك تجدُ فيه جمالاً وبهاءً في تخيُّرِ الألفاظ ، وفي تخيُّرِ الكلمات ، وَفي تركيبِ الكلماتِ ، و في توالي المقاطعِ ، و في انسجامِ المقاطعِ مع بعضها ، و في الآذانِ ، و في إيقاعه الخارجيِّ وإيقاعه الدَّاخليَّ ، لهذا كلِّه كان الشِّعرُ قريباً من النُّفُوسِ مُحبَّباً إليها .

والإيقاع الخارجيِّ والدَّاخليِّ هو الَّذِي يُثيرُ " فينا انتباهاً عجيباً لما فيه من توقُّعٍ لمقاطع خاصةٍ تنسجِمُ مع ما نسمعُ من مقاطع لتتكونَ منها جميعاً تلك السِّلسِلةُ المُتَّصِلةُ الحلقَاتِ ، والَّتِي لا تنبُو إحدى حلَقاتِها عن مقاييسِ الأُخرى ، والَّتي تنتَهِي بعد عددٍ معينٍ من المقاطعِ بأصوات بعينها نُسمِّيها القافيةَ ...(١٦٢)" .

ولقد كان الشَّاعرُ العبليُّ يُدركُ القيمةَ النَّغميةَ والإيقاعيةِ للشِّعرِ ، وقد كان لهذا الإدراكِ أثرُه الفاعلُ في وقوعه على القوالبِ الإيقاعيةِ الخارجيةِ ـــ الوزن ، والقافية ـ الَّتي تُوافقُ المشاعرَ والأحاسيسَ المنبعِثَةِ من تجاربهِ الشُّعُورية المُتعَدِّدَةِ ،

فهو عندما يمدحُ الخليفةَ هشامَ بنَ عبد الملكِ بقصيدته

---

(١٦٢) موسيقى الشِّعر :د / إبراهيم أنيس ،" ط : الثانية " ، مكتبة الأنجلو المصرية ، " ١٩٥٢م " ، " ٧ " .

الدَّالية ، يختارُ لهذه التَّجربةِ الشُّعوريةِ بحراً من بحورِ الشِّعرِ الَّتي تكون قادرةً على الإيحاء بمشاعره وخلجاتِ نفسه ، والَّتي تكونُ في الغالبِ مشاعرَ إعجابٍ ورجاءٍ يسري فيه الخوفُ ، فقد رأى الشَّاعرُ أنْ يصُوغَ تجربتَهُ المد حيةَ في قالبِ بحر " الخفيف "[١٦٣] ،. يقولُ الشَّاعرُ العبليُّ في قصيدته الدَّالية [١٦٤]:

" من الخفيف "

وطَوَى طائدَ الْعرائكِ مِنْهَا	غَولُ بِيدٍ تجْتَابُهابعد بيدِ
واتتْكُمْ حُدْبَ الظُّهُورِ وكانتْ	مُسْنِمَاتٍ ممرُّهَا بالكَديدِ
واطمأَنَتْ أرضُ الرَّصافةِ بالخصْ	بِ ولمْ تُلْقِ رحْلَها بالصَّعِيدِ
نزلَتْ بامرئ يرى الْحمدَ غُنما	باذلٍ مُتلفٍ مُفيدٍ مُعيدِ
بذلَ الْعدلَ في القِصامَ فاضْحَى	لا يخافُ الضَّعيفُ ظُلْمَ الشَّديدِ

في هذه القصيدة الطَّويلة الَّتي اكتفينا منها بما سبق من أبيات ، نجد براعةً من الشَّاعر في اختيارِ هذا البَّحرِ الشِّعريِّ ؛ليكونَ وعاءً يصُبُّ فيه الشَّاعرُ تجربتَهُ الشُّعوريةَ ، فهو من أسهلِ البُحورِ الشِّعرية ، ولذلك سمَّاهُ الخليلُ بنُ أحمد خفيفا ، فهو أخفُّ البحورِ السُّباعية ، " وذلك لتوالي ثلاثةِ أسبابٍ خفيفةٍ ، فأوَّلُ الوتدِ المفروقِ وثانيه فيه سببٌ خفيفٌ عقب سببين خفيفين . وهذا ما جعل الأديب سليمان البستانيّ يقولُ عنه : الخفيفُ

---

(١٦٣) موسيقى الشِّعر : " ٧٦ " .

(١٦٤) الأغاني : " ١١ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ " .

أخفّ البُحور وأحلاها...(١٦٥)".

وقد استطاعَ الشَّاعرُ أنْ يُوظِّفَ موسيقى هذا البحر في التَّعبيرِ عن حالته الشُّعُوريَّةِ والنَّفسيَّةِ ، وقد وجدناهُ في قصيدته مُتمكِّناً في إدراكه النَّغميِّ ، وهذا ما جعلَهُ يأْتي ب " فاعلاتن " في الشَّطرِ الأوَّلِ من البيت الأوَّلِ مخبونةً مرتين في التفعيلة الأولى والثَّالثةِ ، وجاءت "مستفعلن " في الشَّطرِ الأوَّلِ مخبونةً ، وفي الشَّطرِ الثَّاني من البيت الأوَّلِ جاءت " فاعلاتن " بلا خبن ، وجاءت " مستفعلن " كذلك بلا خبنٍ ، فلماذا كان الخبنُ في " فاعلاتن " في الشَّطرِ الأوَّلِ ؟ ولماذا ترك الشَّاعرُ الخبن في الشَّطر الثاني ؟ ولماذا حدثَ نفسُ الشيء مع " مستفعلن " في الشَّطرِ الأوَّلِ والثَّاني ؟ لقد كان الشَّاعرُ العبليُّ في كلِّ ذلك موفَّقاً ومُتمكِّناً من أدواته الشِّعريةِ خير تمكُّنٍ ، فكيف لا يكون العبليُّ كذلك ؟ وقد استطاعَ ببراعته في صناعة الشِّعرِ أن يُلائمَ بين معانيه وأفكاره وبين إيقاعه النَّغَميِّ ، وهذا يدلُّ على أنَّ الشِّعرَ العربيَّ لم يكن أوزاناً وقوافيَ يُقصدُ منها اللَّذَةُ والمُتعةُ الإيقاعيةُ وما تُحدثُه من لذَّة وطربٍ بقدر ما كان يهدفُ إلى إحداثِ تجاوُبٍ فكريٍّ ونفسيٍّ وشُعوريٍّ بين النَّصِ وقارئه أو سامعهِ ، ويمكن الوقوفُ على ذلك من خلال المقارنة بين تفعيلات بحرِ الخفيفِ وبين الألفاظ المقابلة لها في البيت الشِّعريِّ ، فقولُ الشَّاعرِ " وطوى طا " يُقابلهُ في الميزان " فعلاتن " ؛ لأنَّ "

---

(١٦٥) بحور الشعر العربيِّ : د/ غازي يموت ، " ط : ٢ " ، دار الفكر اللبناني ، " ١٩٩٢م " ، " ١٦١ " .

فاعلاتن " حُذِف منها الثاني الساكنُ وهو الألف ، لكن لماذا حُذِفتْ الألفُ ؟ لأنَّها لو بقيت لأفادت معنى لا يريدُه الشَّاعرِ ، فقد أراد أن يقول : إنَّ ناقتَه قطعتْ الصَّحراءَ بسرعةٍ كبيرةٍ ؛ لأنَّها في شوقٍ إلى الممدوحِ وهو الخليفةُ هشام ، وكذلك في شوقٍ إلى نَواله ، ويظهرُ هذا المعنى بوضوحٍ في قوله " طوى طا " ، والطَّيُّ يحدثُ بسرعةٍ مُذهلةٍ ، فلو بقيت الألفُ بما فيها مدّ في " فاعلاتن " لضاعَ هذا المعنى . وهذا ما يقالُ أيضا في حذفُ السَّاكنِ من " مستفعلن " والَّتي صارت " مُتَفْعِلُنْ " ، وكذلك يُقالُ في حذف الألفِ من " فاعلاتن " الثَّانية ، فقد أراد من الحذف بيانَ ما كانت عليه ناقتُه من سرعة ، وقد ذكرنا سببا من أسباب هذه السُّرعة ، لكن في الشَّطرِ الثَّاني نجد حرصَ الشَّاعرِ على هذه السَّواكن ، فلماذا كان الإبقاءُ على ألف" فاعلاتن " في التفعيلتين الأولى والثالثةِ من الشَّطرِ الثَّاني من البيت الأوَّلِ ؟ وكذلك لماذا ظلَّتْ السينُ في " مستفعلن " في الشَّطر الثَّاني بدون حذفٍ ؟ لقد أراد الشَّاعرُ من خلال التَّمسُّك بهذه السواكن في " فاعلاتن " ، و "مستفعلن " أنْ يذكُرَ السَّببَ الَّذي كانت من أجلهِ سرعةُ ناقته في الشَّطر الأوَّلِ ، وإذا كنَّا قد ذكرنا سببا لذلك ، فإنَّ الشَّاعرَ العبليَّ قد ذكر سبباً آخرَ لذلك ، وليس هناك ما يمنع من أحدهما ، ويتجلَّى هذا السببُ في قوله : " غَولُ بيدٍ تجتابُها بعدَ بيدٍ " ، فقد كانت ناقتُه تسيرُ به في بيدٍ مليئةٍ بالغَولِ، ولقد كانت هذه البِّيدُ كثيرةً ، وهذا ما جعله يحرصُ كثيراً على جموع التَّكسيرِ والَّتي جاءت مرتين في الشَّطر الثَّاني ، الأُولى في قوله : "غَولُ بيدٍ " ، والثَّانيةُ في قوله " بعد بيدٍ " ،

وفي ذلك دلالة على أمـرين : كثـرةِ البيـدِ ، وطـول هـذه البيـدِ " ، وقد كانت هذه الغَولُ والبِّيدُ سبباً آخرَ في سـرعةِ ناقتـه، ثُـمَّ نـأتي إلى السِّرِّ في إبقاء ألف " فاعلاتن " بلا حـذفٍ ، وفـي إبقـاءِ سـين " مستفعلن " بـلا حـذفٍ ، لقـد كـان الإبقـاءُ علـى الألـفِ فـي " فاعلاتن " ؛ لأنَّها تقابلُ الواوَ في " غَـول " ، والـواو فـي "غـول " جاءت لحكاية صوت الغـول ، وكـذلك لحكايـة هيئـة الغَـول عنـدما يُصدرُ صوته ، ولا شكَّ أنَّ ذلك كُلَّه لتفخـيمِ شـأنِ الغَـول، وهـذا مـا جعلَ الشَّاعرُ يحرصُ على بقـاء الألـفِ السـاكنةِ ، كمـا أنَّـه كـان حريصاً على بقاء الجيم الساكنة في قولـه " تجتابُهـا " والَّتـي تُقابِـلُ السينَ في " مستفعلن " ؛ لأنَّه بهذه الجيمِ والَّتـي هـي حـرفٌ مـن حروف وسطِ اللِّسـان ومـن صـفاتها الجهـرُ والشِّـدَةُ (١٦٦)، أراد أن يصف سرعةَ ناقتهِ في قطعِ هذه البِّيـدِ ، وأنَّ هـذه السُّـرعةَ تصِـلُ إلى غايتها عندما تكونُ النَّاقةَ في وسطِ هـذه البِّيـد . وفـي البيـت الثَّـاني حـذفت الألـفُ مـن " فـاعلاتن " فـي التَّفعيلتـين الأولـى والثَّالثةِ من الشَّطرِ الأوَّلِ ؛ ولـذلك للدَّلالـة علـى جـدِّ النَّاقَـة فـي سيرِها، ويظهر ذلك في قوله : " وأتـتكُمْ " ، ونلاحـظُ بقـاء السِّـين في " مُسْتَفْعِلُنْ " ؛ للدَّلالة على أثر السَّـيرِ فـي النَّاقَـةِ ، وذلـك فـي قوله : " حُدبَ الظُّهورِ " ، فقد دخل بطنُهـا وخـرج ظهرُهـا ، وفـي الشَّطرِ الثَّاني من البيت الثَّاني نجد كذلك بقـاء الألـف فـي "فـاعلاتن " ، وحذف السين مـن " مسـتفعلن " ؛ وذلـك للدلالـة علـى عظـم

---

(١٦٦) الملخص المفيد في علم التجويد : تأليف / محمد أحمد معبد ، " ٦٧ " .

النَّاقةِ وارتفاعها في " مُسْـنِماتٍ " ، وعلـى سُـرعتها فـي " ممرُّهـا " ، وعلى طول الطريقِ الَّذي سـارت فيـه فـي قولـه : " بالكديـدِ " ، وهكذا لو سرنا مع الأبيات إلـى آخرهـا لوجـدنا أنَّ بقـاء الألـف في " فاعلاتن " للدلالة على الطـول والامتـداد والارتفـاع ، وحـذفها يدلُّ على السُّرعة والقوَّةِ .

وإذا كان الشَّـاعرُ العبلـيُّ قـد وفـقَ فـي اختيـار البحـرِ الملائـم لتجربته الإبداعية ، فإنَّه كذلك قـد أجـاد فـي اختيـار قافيتـه ، فقـد كان على علـمٍ بمـا تحدثُـه القافيـة مـن غبطـةٍ وسـرورٍ حـين سماعها، يقول الدكتور / إبراهيم أنيس فـي بيـان القيمـةِ الإيقاعيـة والموسيقية للقافية " والكلامُ المـوزونُ ذُو الـنَّغَمِ يثيـرُ فينـا انتباهـا عجيباً ؛ لما فيه من توقُّعٍ لمقاطعَ خاصةٍ ...[١٦٧]".

وهذا ما جعلَ الشَّاعرَ يُفضِّلُ حرفَ " الـدَّالِ " ؛ ليكـونَ رويَّـاً لهـذه القصيدة المدحيةِ، وحرف "الـدَّالِ" يخـرجُ مـن ظهـر رأسِ اللِّسـانِ وأصلِ الثَّنيتـين العُلْيـينِ ، وصـفاتُ هـذا الحـرف هـي :الشِّـدَّةُ ، والجهـرُ ، والاسـتِفالُ، والانفتـاحُ ،والإصـماتُ [١٦٨]، وكُـلُّ هـذه الصِّفات كان دافعاً لإيثارِ هذا الحرفِ علـى مـا عـداه مـن حـروف الهجاء ، ليحدُثَ الانسجامُ الإيقاعيُّ بـين موسـيقى الـوزن وإيقـاع القافية ، وأيضا ليكـون هنـاك تناسـقٌ شـعوريٌّ فكـريٌّ إيقـاعيٌّ.

---

(١٦٧) موسيقى الشعر : " ١١ " .

(١٦٨) الملخص المفيد في علم التجويد : " ٦٧ ، ٨٧ " .

وسنقومُ بتوضيح مدى نجاح الشَّاعر في توظيفِ قافيته لتحقيق أهدافه الشُّعور يةِ والنَّفسيةِ والفكريةِ من خلال ما جاء في شعره ، يقولُ العبليُّ[١٦٩] :

" من الخفيف "

إنَّكُمْ معشرٌ أبى اللَّهُ إلَّا	أنْ تَفُوزوا بدرِّها المحشُودِ
لم يَرِ اللَّهُ معشراً من بني مر	وانَ أولى بالمُلكِ والتَّسْوِيدِ
قادةٌ سادةٌ ملوكٌ بحارٌ	وبهاليلُ للقُرُوم الصِّيدِ
أريحيُّون ساجدونَ خِضَمُّونَ	حماةٌ عند ارتِدادِ الجُلُودِ
يقطعُون النَّهار بالرأي والحزْ	مِ ويُحيُونَ ليلَهُمْ بالسُّجُودِ

ولكي نقفَ على براعةِ الشَّاعرِ في توظيف القافيةِ وبالتَّحديدِ الرَّويِّ ، كان لابُدَّ من معايشة هذه الأبيات، وهذه الأبيات جزء من دالية العبليِّ في مدح هشام بن عبد الملك ، ولكنَّها في هذه الأبيات تفيضُ بحُبِّ الأُمويين ، وكيف لا يُحبُّهم ؟ وهم من اختارهُم اللَّهُ لحكمِ الأُمَّةِ الإسلامية ، وقد ذكر كثيراً من صفاتهم، فقد ذكر أنَّهُمْ قادةٌ ، وسادةٌ وملوكٌ ، وبحارٌ في الكرم ،وبهاليلُ ، وأريحيُّون ، وساجدون ، وخضمُّون ، وحماةٌ ، والألفاظ السابقة ألفاظٌ جزلةٌ قويَّةٌ متينّةٌ تناسبُ غرضَ المدحِ ، وكما أجاد الشَّاعرُ في اختيار الألفاظ المُناسبةِ للغرضِ ، أجاد كذلك في اختيار بحر الخفيفِ ، وقد تحدثنا عن ذلك ، لكنْ ما أردت التأكيدَ عليه أنَّ الشَّاعرَ العبليَّ قد أحسن في توظيف

(١٦٩) الأغاني : " ١١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ " .

التَّغيُّراتِ الَّتي يمكنُ أن تحدُثَ في بحر الخفيفِ ، فهو في هذه الأبيات ، فقد جاءتْ " فاعلاتُنْ" الأُولى في البيت الأوَّلِ بالألفِ ؛ للدَّلالةِ على الكثرةِ ، وجاءت " مستفعِلُنْ " بحذف السِّينِ للدَّلالة على الوحدة والقُوَّةِ في قول الشَّاعرِ " شرٌ أبى " ، وجاءت " فاعلاتن " الثَّانيةِ بحذفِ الألفِ ؛ للدَّلالة على الثَّناء العظيمِ ، وذلك في قوله : " لاه إلَّا " ، وجاءت " فاعلاتن " الأُولى في الشَّطرِ الثَّاني بلا ألفٍ ؛ للدَّلالةِ على الكثرة في قوله " أن تفوزوا " ، وحذفت السين من " مستفعلن " الثَّانية في الشَّطرِ الثَّاني ؛ للدَّلالة على السُّرعةِ في الدَّرِّ ، وهكذا إلى آخر الأبيات . وكذلك أجاد الشَّاعرُ في توظيفِ الرَّويِّ توظيفاً فريداً ، فالدَّالُ في قوله " المحشود " ؛ تدلُّ على القوَّةِ في الحشدِ ، وفي قوله " التَّسويدِ " ؛ تدلُّ أيضا على القُوَّةِ في أخذِ المُلْكِ ، وفي قوله " الصِّيدِ " ؛ تدلُّ على العزَّةِ ، وفي قوله " الجلودِ " ؛ تدلُّ على شدَّةِ الفقرِ ، وفي قوله " السُّجودِ " ؛ تدلُّ على النَّشاطِ في السُّجودِ وكثرته . وهكذا استطاع الشَّاعرُ العبليُّ أن يُوظفَ الإيقاعّ الخارجيَّ بكُلِّ وحداته وأطيافه ؛ ليكون هذا الإيقاع لبنةً أساسيةً مع اللَّبنات الأُخْرى في تشكيلِ التَّجربة الشُّعورية والإيحاء بها في صورةِ عملٍ أدبيٍّ يدومُ ذكرُه ، ولم تكن إجادةُ العبليِّ للتَّوظيف الإيقاعيِّ الخارجيِّ خاصاً بهذه القصيدة ، بل رأيناه يُدركُ هذه القِيمَ النَّغَميةَ في سائر شعره الَّذي قاله في الأُمويين .

ولم يكن الإبداعُ الموسيقيُّ الخارجيُّ في شعر العبليّ خاصاً ببحرِ الخفيفِ ، فقد كانَ العبليُّ بارعاً في اختيارِ المُوسيقى المناسبة لخلجاتِه

العاطفيَّة والفكريَّة ، وقد شَهِدَ له بهذا التَّفوُّقِ ما ذُكرَ من قصيدتِه الدَّاليَّة ، ويَشهدُ له كذلك قصائدُه الأُخرى الَّتي قالَها في الأُمويين ، ومن هذه القصائدِ قصيدتُه الَّتي تذكَّرَ فيها قومه وهو في اليمنِ ؛ وقد ذهب إليها خوفاً من بطشِ العبَّاسيِّين ، وقد أجاد الشَّاعرُ العبليُّ في اختيار البحر الشِّعريِّ الَّذي يستطيعُ بإمكاناته الإيقاعيَّة أنْ يكون مُوحياً بانفعالاتِه ومشاعره، ولذلك رأيناه قد اختارَ بحرَ " الكامل " ، وبحرُ الكامل من بحور الشِّعر العربيِّ القويَّة ، وقد جاءَ هذا البحرُ كثيراً في الشِّعرِ العربيِّ في القديمِ والحديث ؛ لأنَّه يتناسبُ مع العواطف القويَّة والمعاني الثائرةِ ، يقولُ الشَّاعرُ العَبليُّ في قصيدتِه البائية :

" من بحر الكامل "

وذكرَتْ عَهدَ معالمٍ بِلوى الثَّرى هيهاتَ تلكَ معالمُ الأَحباب
هَيهَاتَ تِلكَ معالمٌ مِنْ ذاهبٍ أَمْسَى بحَوضِي أَو بِحَقْلِ قِبَابِ
قدْ حلَّ بينَ أَبارقٍ ما إِنْ لهُ فِيها من إخوان ولا أصحاب
شطَّتْ نواهُ عن الْأَليفِ وساقَه لقُرى يمانيَّةٍ حمامُ كتاب

والأبياتُ يظهرُ فيها التَّلاؤُم الواضحُ بين موسيقى بحر الكامل وبين التَّجربةِ الشُّعُوريَّةِ الصَّادقة ، وقد ساعده على تحقيقِ هذا الانسجام الإكثارُ من الزِّحافاتِ في داخلِ هذه القصيدة ، فقد أَوحتْ بالمعاناةِ الشَّديدة بسبب فقد الأَهلِ والعشيرة ، ثُمَّ لأجلِ البُعد عن منازلِهم ومعالمِهم ، فقد أكثرَ الشَّاعرُ من تسكين الحرف الثَّاني المتحرِّكِ ، ويظهرُ ذلك في قوله : " هيهات ، الأحباب ، هيهات ، منْ ذاهبٍ ، أَمْسى بحَوضِي أو بحقلِ قباب ، قدْ حلَّ بين ، ما إنْ لهُ ، فيها من ، شطَّتْ " ، وقد جاء هذا الحرفُ السَّاكنُ مرَّةً ياءً؛ ليُعبرَ عن حُزنِه ،

وكذلك ليكونَ مُنفِّساً ومُخفِّفاً من أساه ،كما جاء في بعضِ الأحيانِ حرفاً من حروفِ القلقلةِ ، ليدُلَّ على قُوَّةِ هذه الأحزان في نفسه وجسدهِ ، وكما كان لبحر " الكامل " دورٌ ظاهرٌ في الإعلانِ عن مشاعرِ العبْليِّ الحزينة ، كذلك كانَ للقافية دورٌ في ذلك التعبير ، فقد اختارَ الشَّاعرُ حرف " الباب " ؛ ليكون حرفاً تُبنى عليه القصيدةُ ، وقد أجادَ الشَّاعرُ في هذا الاختيار ،لأنَّ هذا الحرفَ وما يتصفُ به من صفاتٍ الشدَّة ، والاستعلاءِ ، والانفتاحِ ، تجعلُه قادراً على تحقيقِ مُرادِ ه من إظهارِ حُزنِه وأساهُ على قومه وأهلهِ .

ثانيا.الإيقاعُ الدَّاخليّ :

الإيقاعُ الدَّاخليُّ هو رنينُ المحتوى ورنين الكلمات ، وهو أيضا رنين المحتوى والكلمات ، هذا الإيقاعُ " يبعث الدفء والتوترَ داخل لغة الشعرِ ، وهو يشملُ كلَّ ما تضمَّنته القصيدةُ من تقطعيات وتوازنات لا متناهية ، كالتجانس والتكرار بنوعيهِ : الصوتي :بما قد يثيره من إيحاءات رمزية معينة ،والمعجميّ : بما قد يثيره من توافقات أو مقابلات دلالية، وكل هذا من شأنه أن يؤدي إلى إحساس بالانسجام لمؤثر التّماثل في اللغة الشعرية ." .

وقد ظهر هذا الإيقاعُ في شعرِ العبليِّ ، وهذا يدلُّ على إدراكه لهذا الإيقاعِ و ما يثيره في النَّفسِ من إيحاءات ، وقد تجلَّى هذا الإيقاعُ في قصائده الشعرية التي قالها في الأمويين ، ومن القصائد التي كان هذا الإيقاع واضحا فيها قصيدته السينية

:(١٧٠)

" من المتقارب "

تقـــولُ أُمامـــةُ لّمـــا رأتْ	نُشُـــوزي عـــنِ المضجَـــعِ الأنفسِ
وقِـــلَّةَ نومـــي علـــى مضجـــعي	لـــدى هَجعَـــةِ الأعيُـــنِ النُّعَّـــسِ
أبـــي ما عـــراك فقلـتُ الهُمـوم	عَـــرَون أبـــاك فلـا تُبلِـــسِ
عـــرون أبـــاك فحبَّسنَـــه	مـــن الذُّلِّ فـــي شـــرٍّ ما محْبَسِ
لفقـــدِ العشيـــرةِ إذ نالهـــا	سهـــامٌ مـــن الحـــدثِ المُبئسِ
رمتْـهـا المنُـونُ بلا نُصَّـــلٍ	ولا طائشـــاتٍ ولانُكَّـــسِ
بأسهـمها الخالسـات النُّفُـــوس	متى ما اقتـضَتْ مُهجَـــةً تخلِـسِ
فصرعاهمُ في نواحـــي البـــلادِ	تُلَقَّـى بأرضٍ ولـم تُـرمـــسِ
كريـمٌ أُصيـــبَ وأثوابُـــه	منَ العـــارِ والذَّامِ لـم تَدنـــسِ
وآخرُ قـد طـار خـــوف الـرَّدى	وكانَ الهُـمـامَ فلـم يُحْسِـــسِ
فكمْ غادَروا من بواكـي العُيُـــو	نِ مَـرضَـى ومن صِبْيَـــةٍ بـــؤَّسِ
إذا ما ذكـــرنهـُمْ لم تنـــم	لحرِّ الهُمـــومِ ولم تجْلِـــسِ
يُرجِّعْـنَ مثـلَ بُكـاءِ الحمـــا	مِ في ماتَـــمٍ قَلِقِ المجلِـــسِ
فذاك الّـــذي غالني فاعلمـــي	ولا تسالينـــي فتستنحِـــسي
وأشياء قـد ضِفْنّـني بالبـــلادِ	ولستُ لهُـــنَّ بمُستَحْلِـــسِ
أفاض المدامـعَ قتلَـى كُـــدى	وقتلَـى بكُثْـوةَ لـــم تُـرمـــسِ

في هذه القصيدة أكثر الشاعرُ من تكرار الأصوات ؛ وذلك لأمرين : الأول : الأخبارُ عمَّا فعله العباسيون بالأُمويين ، وقد أبرز ذلك تكرارُ حرف العين الذي جاء كثيراً في قوله "المضجع " ، " مضجعي " ، " ما عراك " ، " عرون " ، " العشيرة " ، " فصرعاهم " ، " العار " ، "

---

(١٧٠) السابق : " ١١ / ٢٠١ ، ٢٠٢ " .

العيون " ، " يرجّعن " ، " فاعلمي " ، " المدامع " ، " تداعت " ، والعين من الحروف المجهورة القويّةِ وكذلك هي من حروف الإظهار، وقد ساعدته هذه القدرات الصوتية لهذا الحرف في تحقيقِ ما أراد ، الثَّاني : الإعلان عن حُزنه الشديد على الأُمويين الَّذِي هدَّ قواه ، وقد ظهرت هذه المعاني من خلال تكرارِ حرف السين ، وقد جاء كثيراً في الأبيات ، ومن ذلك قولُه : " الأنفسِ ، النُّعَّسِ ، فلا تبلَسي ، فحبَّسْنَهُ ، محبس ، المبئسِ ، ولا نُكَّسِ ، بأسهمها الخالسات ، النُّفوس ، تخلسِ ، لم تدنس ، فلم يُحسس ، بُؤَّسِ ، ولم تجلس ، المجلسِ ، ولا تسألِيني ، فتستنحسي ، لم تُرمس ، ما أنفس ، نفوس ، أبي فُطرُسِ..." ، وقد ساعد حرف السين على أداء هذه المعاني النفسية والشعورية بالإضافة إلى تحقيق الإشعاع الموسيقي المُنبِّهِ والمؤثر ، ما تمتع به السين من صفات الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات ، وكما كان هناك إيقاع موسيقي داخليٍّ عن طريق الأصوات ، كان هناك أيضا إيقاعٌ موسيقيّ عن طريق الكلمات ، وقد ظهر هذا الإيقاعُ في قول الشَّاعرِ : " المضجعي ، مضجعي " ، وقوله " فحبَّسْنَه ، محبس " ، وقوله " قتلى كُدى ، قتلى بوجٍّ ، قتلى كُثوة " ، "وقتلى بنهر أبي فُطرُسِ " ، وقد ساعدت الإيقاعات التي جاءت في داخل القصيدة على إظهار القيم الشعورية والفكرية .

الخاتـــــــمة

الحمدُ للَّه الَّذي هدانَا لهذا و مـا كُنَّـا لـولا أنْ هـدانا اللَّـهُ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ الخَاتمِ محمَّد بن عبـد اللَّـه ؛ الَّـذي كـان للعالمين نـذيراً وبشِـيراً ، وعلـى آلـه وصـحبه كواكـبَ الهُـدى ومصابيحَ الظَّلام .....

وبعد

هذا وقدْ ظهرَ من خلالِ البحث

١ــ أ نَّ العلاقـةَ بـين الشَّـاعرِ العَبْلِـيِّ والأُمـويين كانـتْ حميمةً ، المـودَّةُ لُحمتُهـا والمحبَّـةُ سُـداها ، ولـذلك يمكـنُ أنْ نقولَ ونحنُ مُطمئنون أنَّهُ كانَ بينَهُمـا ذَهـابٌ وإيـابٌ ، وهـذا يـردُّ على من زعمَ أنَّ عدمَ احتفاء الـرُّواةِ بشـعر العَبْلِـيّ ، كـان بسـببِ بُعدِه عن قُصورِ الخلافةِ ، فكيف يكـونُ هنـاك بعـدٌ وجفـاءٌ ؟ وقـد ذكرتْ كتُبُ التَّاريخِ والأدبِ أنَّ الشَّاعرَ العَبْلِـيَّ وفَـد علـى الخليفـة هشامِ بن عبد الملكِ ، ومدحَهُ بقصيدةٍ طويلةٍ .

٢ ــ أنَّ الشَّاعرَ العَبْلِيَّ كان يُحبُّ بنـي هاشـمٍ ، وقلنـا إنَّـهُ لا تعارضَ بين حُبِّ الشَّـاعرِ للأُمـويِّين وحُبِّـهِ للهاشـميِّين ، وكيـفَ لا يُحبُّهَمْ العَبْلِيُّ ؟ وهُمْ رهطُ النَّبِيِّ ــ صلَّى اللَّـهُ عليـه وسـلَّم ـــــ وآلُهُ ، كما كانتْ هناك أسبابٌ مقبُولَةٌ حدَتْ بـه إلـى هـذا الحُـبِّ ، فقد عاش الهاشميُّون أيَّاما قاسيةً في إبَّانِ الحُكـم الأُمـويِّ ، لمـاذا ؟ لأنَّ الهاشميِّين قالُوا كلمَةَ حـقٍّ كـان لابُـدَّ لهُـمْ أنْ يقُولوهـا ، فقـدْ وقفَ أئمَّةُ البيتِ الهاشـميِّ فـي وجـه الأُمـويِّين عنـدَمَا أرادُوا أنْ تكونَ الخلافةُ ميراثاً لهـمْ ، وقـد كـانَ لهـذا الإبـاءِ الهاشـميِّ دورٌ كبيرٌ في تصدُّعِ العرشِ الأُمويِّ .

٣ ــ أنْ شعرَ العَبْلِيَّ كانَ خيرَ شاهدٍ على حُبّه لقومِه الأُمويِّينَ ، فقد وجدْنَاهُ في هذا الشِّعرِ وبخاصةٍ في شعرِه الرِّثَائيِّ يبكِيهِمْ بُكاءً حارّاً في قصيدتِه الرَّائعةِ السِّينيَّةِ والَّتي كانتْ بحقٍّ من أجملِ ما قيلَ في رثاءِ الممالك والمُدنِ الزَّائلةِ ، وقدْ شهدَ للعبْليِّ بهذا التَّفَوُّقِ منْ قالُوا إنَّ العَبْلِيَّ كان يكرهُ الأُمويِّينَ . ويظهرُ ذلك في إشادةِ الأستاذِ الدكتور / مُصْطَفَى الشَّكْعَةِ بسينيته ، وهو الَّذي قال قبلَ ذلك : إنَّ العَبْلِيَّ " كانَ يميلُ إلى بني هاشمٍ ، ويذُمُّ بني أُميَّةَ " ، يقولُ الدكتور الشَّكعةُ في الإشادَةِ بالسِّينيةِ " لقدْ أدَّى العَبْلِيُّ دورَه في تمجيدِ دولةِ الأُمويِّين ورثاءِ مُلكِهِمْ ، وهو بهذا الدَّورِ قدْ أضافَ شيئاً إلى التُّراثِ العربيِّ ، واستحقَّ أن يجتلَّ مكاناً مرموقاً بين كبارِ الشُّعراءِ الَّذينَ تمسَّكُوا بجلالِ الجزالةِ والفُحُولةِ ، وانطلقُوا وهُمْ يُمْسِكُونَ بأطرافِها إلى آفاقٍ رحْبَةٍ من جدَّةِ الموضوعِ وحضَريَّةِ الفكرةِ ..."[١٧١] .

٤ ــ أنَّ حُبَّ العَبْلِيِّ للأُمويِّينَ كان حُبَّاً قويَّاً صادقاً ، وهذَا ما يجعلُنا نُؤكِّدُ أنَّ هذا الحُبَّ كانَ يسيرُ في نفسِ الطَّريقِ الَّذي سارَ فيهِ حُبُّه للهاشميِّينَ ، كما أنَه كانَ بقدرٍ كبيرٍ في سموِّهِ ، وإنْ كانَ شعرُ العَبْلِيِّ يحتَفِي بدرجةٍ كبيرةٍ بحُبِّه للأُمويين .

---

(١٧١) كتاب رحلة الشِّعر : د / الشَّكعة ، " ٤٦٩ ، ٤٧٠ " .

٥ ــ أنَّ حُبَّ العَبْلِيِّ للأُمويِّينَ جَعَلَه لا يُشارِكُ في الثَّوراتِ العلويَّةِ الهاشميَّةِ الَّتي انطلقتْ في كُلِّ مكانٍ لإسقاط الحُكمِ الأُمويِّ ، وقد تحقَّقَ لها في النِّهايةِ ما أرادتْ . وإذا كان هذا موقفُه في حياة الأُمويِّينَ ، فقد رأيناهُ في عصر العبَّاسيِّينَ ، يخُوضُ غِمارَ الحُرُوبِ الَّتي خاضَها العلويُّون الهاشميُّون أمامَ العبَّاسيِّينَ ؛ وهذا دليلٌ على حُبِّهِ لقومه وعشيرتِه الأُمويين .

٦ ــ أنَّ الشَّاعرَ العَبْلِيَّ كانتْ له قصيدتان في رثاء الأُمويِّينَ، وهُما :السِّينيةُ والهمزيَّةُ ، وهذا ردٌّ على من قال إنَّ العَبْلِيَّ لم تكنْ لهُ إلَّا قصيدةٌ واحدةٌ ـــــ السِّينيَّةُ ـــــ في رثائهمْ ، فقد رأينا أُستاذَنا الدكتور الشَّكْعَة في كتابه رحلةِ الشِّعر يقولُ إنَّ همزيَّة العَبْلِيَّ قِيلت في حياة الأُمويِّين ؛ وكان ذلكَ منهُ لتحذيرِهِمْ من الفتنَةِ والخلافِ ، ويبُدو ذلك واضِحاً في قولِه : "ويقعُ الخلافُ بينَ رجالِ بني أُميَّةَ ، وتدُبُّ الفتنةُ بينَهُمْ ، وتختلفُ كلمَتُهُمْ ، ويُطِلُّ النَّحسُ برأسِه من خلالِ هذه المحنَةِ ، ويرفَعُ بعضُهُمْ السَّيفَ في وجه الآخرِ ، وتتهدَّدُ الدَّولةُ بالْفناءِ ، وما يستتبِعُ ذلك من شرٍّ وهلاكِ القومِ من أهلِ الرِّئاسةِ والسِّياسةِ ، وينـدُبُ هذه الفرقةَ بشاعريَّةٍ فذَّةٍ في أروعِ مقطوعةٍ ــ الهمزيَّة ـــ موسيقيَّةٍ حزينةٍ .[١٧٢]". ولكنْ من خلالِ قراءةِ القصيدةِ نجدُ أنَّ همزية العَبْلِيَّ كانتْ هي الأُخرى في رثاء الأُمويِّين ، وهذا ما قالهُ أبو الفرج الأصفهانيُّ في كتابه الأغانيّ ،

---

(١٧٢) السَّابق : " ٤٧٠ " .

وقالَ به أيضا الأستاذ / مهدي عبدُ الحُسين في مجلّة الذَّخائرِ ، كما وجدْنَا أُستاذَنا الدُّكتور الشَّكعة يقولُ أيضاً بهذا الرأي في مكان آخرَ من كتابهِ رحلةِ الشِّعرِ ، وفي هذا يقولُ : " ثُمَّ يجيء العَبْلِيُّ بقصيدتين إحداهُما همزيَّةٌ والأُخرى سينيةٌ ، يرثِي بهما بني أُميَّةَ ودولتَهُم رثاءً يُؤثِرُ على واحدٍ من أعدائهِم ـــــ يقصدُ : عبد اللَّه بن الحسن بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالبٍ ـــــ ويُثيرُ واحداً آخرَ من أعدائهم ، هو أبو جعفر المنصور ...."[١٧٣] .

وأرجو في نهاية هذا البحثِ أن أكونَ قدْ وُفِقْتُ إلى تقديمِ شيءٍ يُسهِمُ في خدمةِ لُغتِنا وتُراثِنَا العربيِّ الخالدِ .

---

(١٧٣) السَّابق : " ٢٣ " .

المصـــــــادر والمـــــــــراجع

١ ـــــ أُسْدُ الغابةِ في معرفةِ الصَّحابةِ : لابنِ الأثيرِ ، تحقيقُ : محمَّدِ علِّي مُعوَّض ، وآخرون ، «ط : دار الكتب العلمية » .

٢ ـــ الأغـــاني : لأبـــي الفـــرج الأصفهـــانيّ ، " ط : دار صـــــــــادر ، بيروت "

٣ ـــــ بحور الشعر العربيِّ : د/ غـــازي يمـــوت ، " ط : ٢ " ، دار الفكر .

٤ ـــــ تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصـــدر الإســـلام: محمـــد حسن درويش.

٥ ـــــ تاريخِ الخلفاء : للسيوطيّ " ط : دار الفجـــــر للتُّراث " .

٦ ـــ تاريخ الطَّبـــــــــــــــــــــــــــرِي : «ط : دار الكتب العلمية » .

٧ ـــــ التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق النصـــي: د. ناجي فؤاد بدوي، "ط. الأولى" ، دار الأرقم للطباعة والنشر بالزقـــازيق، "١٤١٤هـــ/١٩٩٤م" .

٨ ـــ التَّصوير الفنيّ في القرآن : سيد قطب ، " دار المعـــارف " ، " ١٩٨٩ م " .

٩ ـــ التعازي والمراثي : للمبرد توفى ســـنة ٢٨٦ هـــــ ، « ط : الأولى » ، دار الكتب العلمية ، » ، «١٤١٧ هـــ ـــــ ١٩٩٦م » .

١٠ ـــ الدولةُ الأمويَّةِ بين عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار : د /

علي محمد الصَّلابيّ ،«ط : الثانية » ، دار المعرفة ،«١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م » .

١١ ـ ديوان الخنساء : تحقيق : حمدو طمَّاس ، «ط : الثانية » ، دار المعرفة ،«١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م » .

١٢ ـ رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية : د / مصطفى الشكعة ، " ط : الأولى " ، الدار المصرية اللبنانية ، " ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م " .

١٣ ـ شرح ديوان الكميت: د / داود سلوم ، فوزي حمُّودي " ط. : الأُولى " ، مكتبة النهضة العربية" ، " ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م " .

١٤ ـ فن الشعر لأرسطوطاليس: ترجمه وشرحه د / عبد الرحمن بدوى ، " د: ط " .

١٥ ـ فن المدح وتطوره في الشعر العربي: أحمد أبو حاقه، ، (ط. الأولى)، (١٩٦٢م).

١٦ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي : د / شوقي ضيف ، " طبع :المعارف "

١٧ ـ في النقد الأدبي: د/ شوقي ضيف ، " ط. دار المعارف " .

١٨ ـ في النقد الأدبي: إيليا الحاوي، ، "د. ط" ، " د. ت:" .

١٩ ـ في النقد الأوربي: د. محمد إسماعيل شاهين، ، " ط. : مطبعة الأمانة " .

٢٠ ـــ في النقد اليوناني والأوربي: د. عبد الرحمن عبد الحميد علي، ،"ط. ثانية" ، "مطبعة الأمانة" ، "١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م" .

٢١ ـ ـ مجلة الذخائر اللبنانية : العدد الأول ،«١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م » ، مقال للأستاذ / مهدي عبد الحسين .

٢٢ ـــ مجموعُ أيَّامِ العربِ في الجاهليَّةِ والإِسْلامِ ، إبراهيمَ شمسِ الدِّينِ ،«ط : الأولى » ، دارِ الكتبِ العلميةِ ،«١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م » .

٢٣ ـــ الملخص المفيد في علم التجويد : تأليف / محمد أحمد معبد .

٢٤ ـ موسيقى الشِّعر : د/ إبراهيم أنيس ، " ط : مكتبة الأنجلو المصرية .

٢٥ ـــ النقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب ، " ط : الثامنة " ، دار الشروق ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م " .